

مُتَاوَدَاتُ الْإِنْفَاقِ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ
وَمَعَهَا
مَسَائِلُ الْحَدِيثِ فِي مَذْهَبِ الرَّزِيَّةِ
لِلْمُتَأَلِّفِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْمُعْتَمَدِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
الرَّزِيّ عَنْهُ

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ

جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت

(من شارع القطران) - مدينة نصر

تليفون : ٢٦١٠١٦٤

Library and Archives of the Arab Republic of Egypt

رقم الإيداع ١٨١٠٢ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولي : 3-53-5727-977

مفاوذاً لائصافى مسائل الخلاف

ومع

مسائل الهدى فى مذهب الزيدى

للقاضى شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبى يحيى اليمانى الزيدى

(ت ٥٧٣ هـ)

تحقيق ودراسة

إمام حنفى عبد الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،

سيدنا محمد ، وآله وصحبه وسلم ؛ وبعد

لم تحظ أمة من الأمم ولا حضارة من الحضارات بقدر من التراث الفكرى مثل ما حظيت امتنا الإسلامية ، ويرجع ذلك إلى أنها حضارة قامت على الحرية واحترام الفكر ، والحض عليه ، فجعلت الحرية فى مكانة مرموقة ، وأعادت للإنسان إنسانيته وحقه فى الاختيار .

إن حضارتنا قامت على أساس الحوار مع الآخر ، واعتباره وتقدير آرائه وأفكاره ، ولم تسقط حق الآخرين فى النظر والجدل والاعتقاد ، وكان أساسها : ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ و ﴿ لكم دينكم وفى دين ﴾ . فهل وعى الآخرون هذا الدرس ، وحفظوا لنا الجميل ؟!

ولذلك لا نعجب أن وجدنا فكرنا الكلامى غنى بالأفكار ووجهات النظر المختلفة للموضوع الواحد ، وإن كان العلماء الأصوليون قد جادلوا أصحاب الديانات والملل والنحل الأخرى فى جو من التحضر والرقى والود ، فقد فعلوا مثل ذلك مع أصحاب الفرق المخالفة ، فالسنى يناظر الشيعى ، والشيعى بدوره يناظر المعتزلى والكرامى ، وهكذا .. والجميع تجمعهم عقيدة واحدة وأصول واحدة ، ولكنهم يمارسون حقهم فى التفكير الحر ، وحرية الفهم ؛ فى إطار من الالتزام بالأصول .

وفى ظل هذه التعددية الفكرية ، ظهرت سلبية للقهر أو الحجر على آراء الخصوم عن طريق السلطة السياسية ، مثل ما رأينا ما فعلته المعتزلة ، فى صنة الكلام ، فى مخالفتها فى عصر المأمون ، ومثل ما رأينا فى الفتنة القشيرية فى عصر الكندرى الطاغية .

ولكن يبقى الأصل لا غبار عليه ، أنت حر ، وأنا حر مثلك وفى ما لك من الحقوق وعلى مثل ما عليك من الواجبات ، ورأى خطأ يحتمل الصواب ، ورأى صواب

يحتسب الخطأ ، وعلى أن أدافع عن حقك في التعبير لآخر قطرة من دمي ، ولي مثل ذلك الحق عليك .

هذا هو الإسلام الحقيقي ، وعلى هذه الحرية ربي أتباعه وما نجده في تراثنا أحياناً من سقوط لغة الحوار ، وتحول الجدل إلى صراع وحرب ، فهو نذر قليل ونموذج لا يحتذى ولا يؤخذ مثلاً يقتدى به ؛ وإن ترك آثاره السيئة ، في بعض الأحيان ، على الفكر والحضارة .

وقد حدث أن ظهرت فرق في تاريخنا الإسلامي واندثرت ومن هذه الفرق ، فرقة المطرفية ، وهي إحدى فرق الزيدية ، وعلى الرغم من أن الزيدية فرقة تتسم بالاعتدال اضطهد أئمتهم المطرفية ، وأرهبوهم وعملوا على إفنائهم .

فما هي آراء تلك الفرقة ، وهل هي إسلامية أم غير إسلامية ، وهل كانت تستحق ما نزل بها من نكال وتعذيب وما تعرضت له من فناء ؟ وكيف نقدهم الزيدية نقداً علمياً هو الذي بقي من الفرقة في تاريخنا الفكري ؟

كل هذه التساؤلات وغيرها تتعرض لها الرسالة التي قمنا بالتقديم لها وتحقيقها ، وأرجو أن تكون بمثل هذه الأهمية التي رأيناها فيها ، وأن تسد مكاناً كان شاغراً في مكتبتنا الفكرية الكلامية .

وأرجو من الله السداد والرشاد

إمام عبد الله

* * *

نبذة عن المطرفية

ظلت الزيدية فى اليمن فرقة واحدة قوية تحتفظ بتماسكها حتى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، ^(١) حيث افترقت إلى فرقتين هما المختزعة والمطرفية ، وتنسب المطرفية إلى مطرف بن شهاب العبادى ، وإن لم يكن هو المؤسس الحقيقى لها .

يرجع هذا الانقسام فى المذهب الزيدى إلى زمن الإمام القاسم بن على العياني حيث وقعت مناظرة بين عالمين كبيرين فى ذلك الوقت هما :

على بن شهر وعلى بن محفوظ بن بريدة فقد اختلفوا حول قضية الاعراض من حيث وجودها ، فقال على بن شهر بان الله اخترع الاعراض فى الاجسام ، وأنها لا تحصل بتأثير الطبائع ، أما على بن محفوظ فقال بالطبائع ، وهى فكرة قريبة من التوليد عند المعتزلة .

أما على بن محفوظ هذا الذى أسس المذهب فهو من كبار علماء الزيدية الذين ورثوا تراث الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ت ٢٩٨ .. وإليه تنسب زيدية اليمن ، فيقال لهم الزيدية الهاضية تمييزاً لها عن زيدية طبرستان أتباع الناصر الأطروش وأخيه القاسم ، والذين قيل لهم : الزيدية القاسمية والخلاف بينهما فقهي فقط .

وقد كان أبو على بن محفوظ من ورثة علم آل البيت ، فجمع مكتبة كبيرة عامرة بالتراث الإسلامى عموماً ، والزيدى على وجه الخصوص ، ولما توفى خلفها وراءه فحصل منها ابنه علماً كثيراً .

أما لم تنسب المطرفية لمطرف بن شهاب العبادى ، ولم تنسب لابن محفوظ رغم أثره البارز فى نشأتها ، فهو يرجع إلى شخصية مطرف القوية ، ومكانته العلمية الكبيرة ^(٢) ، وتذكر كتب الطبقات الزيدية أنه كان عالماً فذاً يسمى لصادقته ووده

(١) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ورقة ٥٧ و .

(٢) ابن المرتضى : المنية والأمل شرح الملل والنحل . ورقة ٣٨ ، مخطوط مصور يدار الكتب رقم ٢٧٧٩٨ ب .

(٣) ابن أبي الرجال : مطلع البدور وجمع البحور ١ جزء ص ٣٩٢ .

الأمراء والسلاطين ، كما اتسمت شخصيته بالبراعة والذكاء ، فكان مجادلاً ومناظراً متميزاً قادراً على إفحام الخصوم بالحجة والدليل حتى عز عن وجود نظيره ^(١) .

أقام الشهابي ببیت حنبص ونواحيه ، وتعلم هناك فروى أصول الدين عن علي بن حرب وعن علي بن محفوظ معلم الزيدية العدلية باليمن . ما يدل على اتصال زيدية اليمن بغيرهم من المعتزلة منذ زمن بعيد وقبل رحلة الإمام جعفر لبغداد للاستزادة من تراث المعتزلة الفكري .

ثم اتصل بالإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني ، وبقي على ذلك زماناً ثم رجع عن بيعته ، ثم التقى بالقاضي سليمان بن عبد الله النقوي وكان من أعظم قضاة صنعاء الشافعية وأكثرهم علماً فاخذ عنه ^(٢) .

ولقوة مطرف العلمية وكثرة أتباعه ومنعته هابه أمراء عصره ، حتى أن علي بن محمد الصليحي ، مؤسس الدولة الصليحية كان يخشى جانبه ، فلما خرج إلى الحج سنة (٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م) أخذ معه وجوه الناس ورؤسائهم ، وامتنع عليه مطرف فلم يحضر ^(٣) وادعى المرضي لأن لا يقابله .

ولكن الصليحي كان رجلاً عنيداً عرف بالدهاء والإصرار في الوقت نفسه ، فامر أن يؤتى به ، ولم يرتضى عذره ، فلم مثل في حضرته عاتبه بشدة لمعارضته في حكمه وهم بقتله .

ولكن لم يتحقق للصليحي ذلك لقوة تأثير مطرف على محدثيه ، فقد كان قوى النفس والشخصية ، فاحجم الصليحي عن قتله ، وتوجه الأمر وجهة أخرى وهي مناظرته له لعله يشينه عن فكره ومذهبه أو يقلل من أهميته ^(٤) !

قال له الصليحي : إن النبي ﷺ ؛ قال : « ستختلف امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة » . إشارة منه إلى أن ما يدعو إليه مطرف وجماعته ينتهي إلى هلاكهم .

(١) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ١ / ٤٠ ق .

(٢) ابن الوزير : تاريخ السادة آل الوزير ؛ ورقة ٧٣ .

(٣) ابن المرتضى : المنية والأمل شرح الملل والنحل ؛ ج ١ ورقة ٣٨ ر .

(٤) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ١ ورقة ٤١ ط - ٤٢ .

فقال مطرف : نعم ، قال النبي ﷺ : « الحق ما اجتمعت عليه الأمة ، والباطل ما اختلفت فيه ، ولن تجتمع أمتي على ضلالة » ، وقد اجتمعت أنا وأنت على إمامي - يعني علياً بن أبي طالب - كرم الله وجهه ، واختلفت عند إمامك - يعني المهدي العبيدي الفاطمي فأعرض الصليحي عنه ! .

وقد تصدى مطرف بالنظر للنجيرية والحسينية التي تدعى المهدية ، كما وقف دون المخترعة بمجادلتهم وإفحامهم ، وهذا يفسر سر العداوة الشديدة من هذه الفرق للمطرفية .

وانجسحت المخترعة بمذهبها نحو القول بإمامة علي بن أبي طالب بالنص الخفي ، وتوقفت في أمر الصحابة مع قولها بخطأ الشيخين بتقدمهم عليه ، هذا من حيث فكرهم في الإمامة ، أما من ناحية آرائهم في العقيدة ، فقد سلكوا مسلك البصرية من المعتزلة .

وترجع المطرفية في مذهبها إلى آراء الهادي إلى الحق ، وجده الإمام القاسم بن إبراهيم ت ٢٤٦ هـ ، والمأخوذ من آراء أبي القاسم البلخي المعتزلي ^(١) ، كما قالوا بآراء النظام والجاحظ من المعتزلة ^(٢) .

ولكن تدخلت شدة العداوة بين المطرفية وخصومهم ، في القول بأن آراءهم عبارة عن نسيج من آراء الباطنية والدهرية والنجوس وعبدة الأوثان ^(٣) .

ساعد على ذلك أيضا بعض الآراء الشاذ لمشايخ المطرفية ، وشدة الجدل مع الخصوم ، حتى بلغ الأمر بتفكيرهم بعد ادعاء آراء كثيرة عليهم ، من الفرق الأخرى .

والدليل على افتراء خصومهم عليهم كثيراً اختلاف الزيدية في تكفيرهم ، إلا أن الآراء الاعتزالية قد لعبت دوراً بارزاً في تشويه المذهب المطرفي ، وقد استقلت المطرفية بآراء لم يكن للمعتزلة تأثير فيها ، كالقول بإحالة الاستحالة ، أو امتزاج العناصر وتكوينها للأشياء ... !

(١) يحيى بن حميد المذحجي : نزهة الأنظار في ذكر الأئمة الزيدية ، ورقة ١٠ ، مخطوط رقم ٢٩٠٩٨ ب ، دار الكتب المصرية .

(٢) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ، ورقة ٣٩ و ٦٧ .

(٣) يحيى بن حميد : نزهة الأنظار ، ورقة ٩ ظ - ١٠ و .

وهو رأى مأخوذ من الفلسفة اليونانية القديمة بلا شك ، التي قالت بامتزاج العناصر الأربعة ، الماء والتراب والنار والهواء .

كما أن هذه الأفكار الفلسفية الدخيلة مفارقة لفكر الهادى فى الأصول ، والتي بدأت من الخلط أو الشذوذ واتفقت مع مذهب السلف والصحابه فى العقيدة فاعتمدت جميعها على النقل والسمع .

ويروى عن بعض الأئمة والفقهاء الزيدية المتقدمين كالإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة ، والفقهاء العلامة على بن عبد الله بن أبى الخير الصائدى أنهم فرقة مسلمة ، وليس بمذهبهم ما يوجب تكفيرهم : « وقفت بالرجو مع أهله ، وكان الرجو من ديار التطريف ، على كتب عديدة فيها خلاصة مذهبهم وتحقيق قواعد عقائدهم ، فلم أجد فيها شيئاً يوجب تكفيرهم ، وإنما اعتقادهم اعتقاد أبى القاسم البلخى ، وهم عندى أئمة محاريب »^(١) . يعنى أصحاب عبادة وزهد وورع ، وهو ما عرف عنهم .

وذكر مثل ذلك الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى ، وعبد الله الدوارى فى شرح الزيادات^(٢) . وكلاهما أصحاب مصنفات كثيرة وألف الأول فى الفرق كتابه « البحر الزخار » فحفظ لنا تراثاً كبيراً وإن كان قد أفاد من غيره كثيراً كالشهرستانى وأقرانه .

ويعتبر المطرفية مؤصلى فكر الهادى فى اليمن شماله الشرقى والغربى ، ويتسم فكرهم بالبعد الفلسفى الذى خلت منه الفرق الزيدية الأخرى ... ويصعب تفسير هذه الظاهرة إلا أنه من الثابت أنهم تأثروا بالقرآن الكريم بشدة ، فأرادوا فلسفة الكون وهو ما سنراه فيما بعد عند استعراض الرسالة .

كما يعتبرون امتداداً للمعتزلة وفكرهم الفلسفى خصوصاً معتزلة بغداد الذين أقل نجمهم على يد المتوكل ت ٢٤٧هـ ، فكان لهم فضل حفظ تراث المعتزلة .

لقد تمتع المطرفية بتأييد كبير فى عدة مناطق يمنية فى غرب صنعاء ، وفى مدن

(١) ابن الوزير : تاريخ السادة آل الوزير ، ورقة ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ٦٧ ب - ١٦٧ .

كثيرة كوقش وسناع والرجو كما وصل فكرهم إلى بعض مدن تهامة ، حيث انتشرت الهجرة التي لجأ إليها علماء المطرفية ، ونشروا تعاليمهم^(١).

لقد نجح المطرفية في إقامة دولة لهم ومجتمعاً في الوديان أطلقوا عليه دار الهجرة ، له تعاليمه وعقائده الخاصة به التي عدها علماء الزيدية خروجاً عن الدين الإسلامي الذي يوجب تكفيرهم ، فقد دعاهم رؤساؤهم إلى التخلي عن الصلاة مع الظالمين والهجرة مع صحابتهم ، وأثاروا أن هذه الدعوة وكل بها أوائل الصحابة في مكة ضد مجتمعهم القرشي^(٢). وهذا دليل على فساد الحياة السياسية في ذلك الحين والثابت أن الباطنية قد انتشروا في اليمن ونواحيها ، وكذلك نجحت الدولة الأيوبية في اقتطاع جزء كبير منها وتراخى الأئمة عن الجهاد فضاغت كثير من المدن ، مما أسخط المطرفية وحرضهم على الخروج عليهم .

فاتخذوا من مدينة وقش وطناً وعدوها مركزاً لهم رئيسياً ، فكان يتجمع فيها نحو خمسمائة عالم وقاض منهم ، وكانوا يجتمعون مرة كل سنة في خلوة الحديث بمسجد وقش^(٣). مما يدعونا إلى القول بأن الهجرة والخروج لم يكن لأمر عارض ولكن من جراء الظلم السياسي .

واتسمت المطرفية بالالتزام الأخلاقي والتربية الروحية العميقة ، فقاموا بتربية أتباعهم على الزهد والصفاء الروحي ، وأصروا على البعد عن السلاطين والأمراء وعدم نشر دعوتهم عن طريقهم ، كما قاموا بمحاربة سلاطين وأمراء الجور عملاً بقول النبي ، ﷺ : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٤) . ونبيغ فيهم علماء محققون في علم الدراية والرواية ، والعقل والنقل ، واشتهروا في اليمن^(٥).

لقد كان لخلاف المطرفية مع إمامين كبيرين من أئمة الزيدية أثر كبير في مسار وجودهم وما لحقهم من حروب وشورور وأذى .

(١) Madelung : Mutarrifiap. 79 .

(٢) عبد الله بن حمزة : شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة سخطوط رقم ٣٩٧٦ ، المتحف البريطاني بلندن ، ورقة ١٧٧ و .

Madelung : W, A Mutarrifiia... pp.

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٩ . عن رسالة الحياة السياسية باليمن د / صلاح مهران راشد ، ص ٣٥٥ .

(٤) الحديث رواه الترمذي ٤٩ / ٢٧٩ ، والنسائي ٥١ / ١٦١ ، وأبو داود ٤٩ / ١٢٥ وغيرها من كتب السنة .

(٥) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ق ٣٣ ، ٥١ - وابن الوزير : تاريخ آل الوزير ق ٦٦ .

لقد بادل الإمامان أحمد بن سليمان ، وعبد الله بن حمزة المطرفية العدااء حتى أقسم الأخير ألا يدخل بلده مطرفي ، فكتب على أحد مساجد طقار^(١) .

أقسمتُ قسمةً برّ وفي لا يدخلنك ما حييت مطرفي^(٢)

وتذرع الإمامان في عداتهما للمطرافية بأنهم يكرهون آل رسول الله ، ﷺ ؛ والحقيقة غير ذلك فقد كانوا من أشياع الهادي وناصروا آراءه ، بالإضافة لأخذهم بآراء المعتزلة الأوائل ، وتأثرهم بالفلسفة اليونانية^(٣) . في حدود المنهج كما سبقهم لذلك جمهور كبير من المتكلمين .

في عدااء الإمام أحمد للمطرافية:

كان الإمام أحمد بن سليمان المعروف بالمتوكل على الله شديد العدااء للمطرافية ، والذين عادوه وكانوا شديدي الكراهية له ، فحاربهم وهدم دورهم . وعمل على إفنائهم .

واستعان في القضاء عليهم بصاحبنا مؤلف مقاود الإنصاف القاضي جعفر بن عبد السلام ، للقضاء عليهم ، فبعثه إلى العراق فوجد الزيدية مشايخين للمعتزلة عامة ولأبي هاشم الجبائي وأبي القاسم البلخي خاصة وآخذين بآرائهم .

تلمذ في بغداد القاضي جعفر على شيخ الزيدية في العراق زيد بن الحسن البيهقي ، وعاد مصاحباً شيخه إلى اليمن ليستعين به على فض الخصومة والخلاف ، وحاملاً كتب المعتزلة ليحتج بها على المطرفية ويجادلهم بها ، وكان ذلك سنة ٥٤٤ هـ ، ولم تكن اليمن تعرف قبل ذلك كتباً للمعتزلة^(٤) ، وإليه يرجع الفضل في حفظ تراث المعتزلة أو جزء كبير منه من الضياع .

وقد جادل القاضي جعفر بن عبد السلام المطرفية في وقش ، وغيرها من مدنها

(١) إحد ، مدن الجنوب التي انتشرت وصارت أملاً .

(٢) قاسم غالب ، وآخرون : ابن الأمير وعصره ؛ ص ٣٧ .

(٣) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ورقة ٣٣ .

(٤) حميد المجلي : الخدائق الوردية ؛ ج ٢ ورقة ١٥٨ .

التي تجمعوا فيها وحولها ، وحاول إثناءهم عن مذهبهم ، ولكن دون جدوى ، بل نال من جانبهم معارضة شديدة ، وآذوه لكونه من أنصار الإمام أحمد بن سليمان^(١) .

فلما بلغ الإمام ما حدث لقاضيه منهم ، أخذ يطوف البلاد ينهى الناس عن مذهبهم ويحذرهم منه ، حتى نفر منهم الكثيرين من أنصارهم إلا القليل^(٢) .

ألف الإمام أحمد مصنفات يرد فيها على دعوة المظرفية منها :

١- « الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المظرفية الجاهل » .

٢- « الرسالة الواضحة في تبين ارتداد الفرقة المارقة المظرفية الطبيعية الزنادقة » .

وهذه الرسالة في الفرق المارقة عن الإسلام ومنهم المظرفية على رأيه ، وذكر لهم أفعلاً أنفردوا بها من جميع الأمم موحداً وملحداً^(٣) .

في عدااء الإمام المنصور للمظرفية :

بالغ المظرفية في عداوتهم للأئمة ، ولذلك لما جاء الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وحاول أن يخالصهم ويهادنهم وبايعوه وأيدوه فترة من الزمن ، ثم نقضوا عهدهم معه سنة ٥٩٣ هـ .

ولكن الإمام المنصور وجه إليهم رسائله مع النصحاء والعلماء ، وخطب ودهم ، وحاول استقطابهم دون فائدة^(٤) . ويبدو أنهم اختلفوا حول سياسته التي كان يتبعها .

وتمثل انشقاق المظرفية على المنصور في نقض بيعته ، وإقامة أمير منهم هو العفيف بن محمد بن مفضل الهدوي سنة ٥٩٩ ، كما سعوا بالوفيفة بينه وبين الأمراء الأيوبيين ، وإفساد الصلح الذي تم بينهما .

حرض فقيه المظرفية على بن يحيى البحتري الإمام المنصور على محاربة الأيوبيين ونقض الصلح معهم ، ورغبة منه في ذلك قام بحشد رجال المظرفية في هذه الحرب ، فنهاه الإمام .

(١) ابن القاسم : طبقات الزيدية الكبرى ورقة ٥٥ - ٥٧ محفوظ رقم ١٣٨٤٨ ح .

(٢) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ١ ورقة ٦٥ و - ٦٥ ح .

(٣) الخبسي : تنمية الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ٤ ج ٣ ورقة ٥٧ و - بهاشر صلاح مهران : الحياة السياسية باليمن .

(٤) أهمي : الخدائن الوردية في مناقب الأئمة ٤ ج ٢ ورقة ٣٦٠ .

إلا أن المطرفية دخلوا في حرب مع الأيوبيين انتهت بهزيمتهم هزيمة منكرة انكسرت بعدها شوكتهم^(١).

وساءت العلاقات بين المنصور والمطرفية مع حلول عام (٦٠٣ هـ = ١٢٠٥ م)، ورغم مراسلاته الكثيرة لهم، ردوا عليه وأغلظوا، فجمع العلماء والأمرء ووجوه الزيدية في عصره وبلغ الأمر حد تكفيرهم لمذهبهم وخروجهم على الإمام، وقضى بحريهم وسببهم واستباحة أموالهم وتوعدهم إن لم يتركوا مذهبهم بالسيف والقتل^(٢). وصارت من ذلك مقتلة عظيمة. وهو على ما يبدو أمر اعتاد على فعله الحكام في تاريخنا الإسلامي فقد أسكت الحجاج الثقفي أكثر من ثنتين وثلاثين ثورة ضد الأمويين في فترة حكمه على العراق، ولم يحاول التفاهم مع إحداها سلمياً، وصار الأمر متوارثاً في دولة بني العباس.

إذاً كان الخلاف المذهبي على رأس الأسباب التي لم تسمح بالتقارب بين الإمام المنصور والمطرفية، وكان للمطرفية عقيدة في مخالفيهم أنهم أئمة جور وظلم وليسوا أئمة رحمة وعدل، ولذلك لم يرغبوا في العيش تحت سلطانهم وسعوا في حريهم.

وأعلن الإمام المنصور الحرب على المطرفية، وعاداهم فكرياً وحربياً، ونشر بين الناس أنهم أسوء من الكفار: (زادوا على كفار المجوس والنصارى، وكذا المجيرة، ويحكم عليهم حكم المحاربين)^(٣). وعد المنصور دارهم دار حرب، فحرب مدنها وأصابهم منه أذى كثير.

ورد المطرفية على ذلك بأن أعلنوا التعبئة وجهزوا أنفسهم في جيش كبير خرج تحت إمرة محمد بن منصور بن مفضل بن الحجاج بن عبد الله بن الهادي، المعروف بالمشرقى، وكان خروجهم بمثابة رد عملي على تكفير المنصور لهم.

إلا أن المنصور لما بلغه أمرهم جهز هو الآخر جيشاً كبيراً تحت إمرة أخيه عماد الدين يحيى بن حمزة في عسكر كثيف من حاشد وبكيل، توجه به إلى بني القليجي وهم

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى ١ ج ١، ٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) زبارة: أئمة اليمن ١ ج ١، ص ١٣٢.

(٣) ابن الوزير: تاريخ السادة آل الوزير ١ ورقة ٦٧ ب.

قوم من حمير غربي مدع فهزمهم وقتلهم وسبى عدداً كبيراً منهم ، واستحل حرماتهم وجعل حكمهم حكم الكفار الهاربين^(١) .

وهكذا استحال الخلاف الفكري والسياسي إلى العداوة والكراهية التي تحولت بدورها إلى حروب طاحنة بين المسلمين في اليمن ، سالت على إثرها بحور من الدماء بينهم ، ولا يوجد في الحقيقة بينهما خلاف يستحق كل هذه العداوة والدماء .

ولو أردنا أن نأخذ عظة من ذلك وعبرة ، توجهننا بكليتنا نحو التسامح والحوار مع مخالفينا أيما كانوا ، وحذرنا من الوقوع في خبة الإرهاب الفكري الذي يتحول بدوره إلى إرهاب مسلح ، تضيع بسببه صيحات الحكماء والناصحين ، وتسقط لغة الحوار ، ولا يبقى إلا الخراب بين المسلمين . وندع الجهاد لأعدائنا الحقيقيين الذين استباحوا ساحتنا وقتلوا المسلمين في أوروبا وأفريقيا وآسيا وعملوا على تنصير المسلمين تحت سلطة الجبر والقهر والإغراء بالمال والجنس والضعام !

والقصد فر المشرقي هارباً أمام الأمير عماد الدين ، وعاد إلى وقش عاصمة المطرفية وصالحه سلاطين مسور ، وظلت الأمور هادئة بين المطرفية والزيدية حتى حلول عام ٦١١ هـ حيث أمر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بإخراجه مسجد المطرفية بسناع وإخراجه مدينة وقش ، دورها ومساجدها ، فأخربت وحملت أخشابها إلى حصن ظفار^(٢) .

وتفرق المطرفية في البلاد وخرجوا من مدنهم وعاصمتها وقش^(٣) ، واستجار المطرفية بالخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضي^(٤) ، وأرسل إليه أميرهم الحسن بن محمد بن النساخ بالرسائل والرسائل المتتابعة يحرضه فيها على محاربة الإمام المنصور بالله ، ويحثه على إرسال العسكار إلى اليمن لإطفاء نار تاججت باليمن ، أذكي وقودها قائم من بني الحسن^(٥) .

(١) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ورقة ٦٧ ، ٣٠٨ .

(٢) زبارة : أئمة اليمن ١ : ١٣٤ / ١٣٥ .

(٣) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية الصغرى ، ورقة ١٣ و .

(٤) النشرفي اللاكبي : القضية ، ج ٣ ، ورقة ٢٤٣ - ٢٤٥ .

(٥) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ورقة ٣١٥ - ٣١٨ .

وفعلًا حققت رسالة ابن النساخ أهدافها ، واستاء الخليفة بشدة مما لحق بهم وأرسل إلى الملك الأيوبي المسعود بن الكامل ، الذى جرد حملة دخل بها اليمن وحارب الإمام المنصور ، ولكن ابن النساخ أبدى اعتذاره مرة أخرى للإمام فى قصيدة طويلة فعفى عنه ^(١) . وهدأت الأوضاع مرة أخرى ، مما يدل على أثر الطابع القبلى العربى فى إدارة عجلة هذه الحروب ، وتوقفها .

توجهت حملة الإمام المنصور بالله العسكرية إلى مجال آخر ، وهو المجال الفكرى فحاول مناظرة المطرفية ومجادلتهم حول آرائهم ؛ لعله يقنعهم ويثنىهم عن مذهبهم بالدليل والبرهان العقلى ، وصنف فى ذلك مؤلفات كثيرة للرد عليهم منها : « الرسالة الفارقة بين الزيدية والفرقة المارقة فى الكلام على المطرفية » ^(٢) .

عمومًا لم يكن كل الزيدية يوافقون الإمام المنصور بالله فى موقفه من تكفير المطرفية واستحلال دمائهم ، فقد أنكر عليه بعض الأمراء ذلك كالأمير المعتضد بالله يحيى بن منصور ، والمهدى لدين الله محمد بن منصور ، وطوائف من الزيدية والشافعية آخرين والإمام الداعى يحيى بن محسن بن محفوظ ، وأدى ذلك إلى اتهام صاحب سيرة الإمام المنصور لهم بالتطريف ^(٣) .

* * *

(١) زيارة : أئمة اليمن ١ ص ١٣٧ .

(٢) المحسى : نعمة الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة ج ٢ ورقة ٥٧ و ، مخطوط بمكتبة المتحف البريطانى بلندن ، رقم ٣٩٧٦ .

(٣) ابن الوزير : المصدر السابق ورقة ٦٨٤ ب - ١٧٥ .

آراء المطرفية في العقيدة

لقد سمي المطرفية بأسماء أخرى مثل أهل القحفة ، وقد ذكرها صاحب الأساس وشارحه ولم يذكر سبباً لهذه التسمية .

كما جمع أصحاب الطبقات طرفاً من أفكارهم ، وعقائدهم ، وهي في جملتها ، وكما ذكرنا من قبل ، تشبه إلى حد كبير آراء المعتزلة البغدادية كالمعمرية والجاحظية . ومثال ذلك :

١- قولهم بالآلام والأفعال المتولدة من أنها من فعل الطبيعة .

٢- قولهم بالإحالة والاستحالة^(١) ، أي إن الله يخلق العناصر الطبيعية ، وتنم فيما بعد عملية الخلق من خلال تفاعلها ببعضها البعض ، وهو قريب من رأى الفلاسفة اليونان الأوائل ومقالة الدهرية ، وإلا كيف يمكن قبول إن مجرد تفاعل العناصر التي ذكروها من ماء وتراب ونار وهواء يصنع العالم بنظامه وإحكامه الدقيق ، دون تدخل من القدرة الإلهية بالخلق والأمر ، وأن يقول للأشياء « كن » فتكون ، أو لا يوجه لها الأمر فتبقى على عدميتها ولا تكون .

وظل الفكر الزيدي محتفظاً بوحدة الفكرية القائمة على العدل والتوحيد ، فلم يجوزوا على الله فعل شيء من الظلم أو العبث أو غيرهما من القبائح .. على خلاف المجبرة باختلاف طوائفهم .

ويعتقدون كذلك تصديقه ، تعالى ، في وعده ووعيده وجميع أخباره ولا يجوزون وقوع الكذب منه ، تعالى ، ولا الخلف ولا التلبيس ، ولا يأخذون شيئاً من ذلك إلا عن النظر في الأدلة القاطعة دون تقليد الآباء والمشايع ، ويدينون بأن الإمام بعد رسول الله ، ﷺ ، على كرم الله وجهه ثم الحسن ثم الحسين ، ثم من قام من ذريتهما جامعاً لخصال الإمامة داعياً لنفسه .

حتى خرجت المطرفية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، وعلى إثر

(١) الشرفي : شرح الأساس ١٤ / ٤١ .

(٢) انظر يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٤١ - ٥٧ ، ومسلم الحمصي : تاريخ مسلم الحمصي ١٤١ / ٢٤٠ وما بعدها .

خروجها ظهرت المخترعة ثم الحسينية ، وكلها فرق زيدية فى أصولها ، إلا أن كل منها أحدث فى الأصول شرحاً عز على الأئمة بعد ذلك رآه .

ويمكن تقسيم آراء المطرفية إلى ثلاثة أقسام :

١- القسم الأول : مقالات ابتدعها المطرفية فى الدين وخالفوا فيها جميع العالمين .

٢- القسم الثانى : مقالات خالفوا فيها جميع المسلمين ، ووافقوا فيها أقسام الكافرين .

٣- القسم الثالث : مقالات باينوا بها مذاهب أهل البيت ، وتابعوا فيها أهل الضلال من المنتسبين إلى الإسلام .

ويقول الإمام أحمد بن سليمان فى تقسيم آراء المطرفية :

« فقسم خالفوا فيه الكافة من أهل الإسلام ، وقسم اتبعوا فيه ضلال الأمة ، وخالفوا فيه جميع الأئمة » ومع أن المطرفية لم يبق منهم أحد حتى زمن أحمد بن صلاح الدين الشرفى فى أواخر القرن العاشر الهجرى ، إلا أن عقيدتهم ظلت مثار الجدل الفكرى والحوار ، ويقت إلى ذلك الوقت على شهرتها معروفة بين العلماء يدرسونها ويحذرون من مسالبتها .

مخالفات المطرفية

ذهب الزيدية إلى أن المطرفية كفروا فى سبع وثلاثين مسألة خالفوا فيها جميع العقلاء ؛ منها قولهم :

١- عقل الإنسان هو قلبه ، ومنها قولهم :

٢- إن علوم الإنسان كلها فعله ، نحو علمه بالمشاهدات وما جرى مجرى ذلك من الضروريات ؛ ومنها قولهم :

٣- إن الله تعالى يجب عليه المساواة بين الخلق فى ستة أشياء : فى الخلق ، والرزق ، والموت ، والحياة ، والتعبد ، والنجازات . ومنها قولهم :

٤- إن الله تعالى يقصد خلق الفروع ، ولم يعنمدها ، وإنما حدثت بالإحالة والاستحالة . ومنها قولهم :

٥- إن كثيراً من أفعال الله ليس بحكمة ولا صواب !
ومنها قولهم :

٦- إن الله لم يرزق العصاة . ومنها :

٧- أن حسنات العاصي معاصي . كما قالوا :

٨- إن النبوة فعل النبي ، ولم يختصه الله بها ، وإن الله قد مكن كل واحد من خلقه من بلوغ درجة النبوة ، فمن تركها فبتقصيره ، وألحقوا بذلك الإمامة .

٩- كما أنكروا سماع سائر الأصوات كالكلام والرعد والصواعق بالآذان !..

١٠- أو أن شيئاً من الألوان يرى بالعين كالسواد والبياض .

١١- أما الطعموم فقد أنكروا أن تدرك بالتذوق هي الأخرى ، كحلالة العسل ومرارة الحنظل .

١٢- وكذلك الأرايح لا تدرك بحاسة الشم كريح المسك والكافور .

١٣- كما أنكروا أن يكون أحد من الأحياء يدرك الآلام ، وبالجملة أنكروا الإدراك بالحواس ، وهو ما لم يسبقهم إليه عاقل .

١٤- كما قالوا بأن إحالة الأجسام فعل الله ، عز وجل ؛ ولكنه لم يفعلها ، وأنها إرادته ومراده مع إنه لم يردها !.. وهو كلام غير مفهوم عقلاً !..

١٥- كما قالوا بأنه لا يجوز من الله أن يتفضل على أحد من المكلفين في الآخرة بزيادة على ثوابهم .

١٦- ونفوا أن ينقص الولد في بطن أمه من حيث الخلق ، أما الجراحات التي تصيب الناس في الحروب فلم تكن من الله ، في حين أضافوا الجراحات التي تحدث من الظالمين بضرب أو طعن إلى الله !..

١٧- أما من مات طفلاً أو قبل المائة والعشرين ، فلم يكن من الله ، ولكن بيد الظالمين الذين أهلكوهم !

١٨- ونفوا الصعق وما يحدث للزروع والثمار من تلف وحرق ، وعموماً يقول الإمام أحمد بن سليمان : « وهذه مقالات لم يقل بها أحد من البشر لا من آمن ولا من كفر » .

ومن مسائل القسم الثاني

مقالات شاركوا فيها الكفار الخارجين عن ملة الإسلام ، عدها الإمام أحمد خمسة عشر مقالة ، فقد وافقوا الطبيعية الملحدة فقالوا :

- ١- بأن العالم يحيل ويستحيل ، مع أن الطبيعيين يقولون بتأثير بعضه فى بعض .
- ٢- وقالوا فى الإنجاب : إن الأطفال يحصلون بحسب طبائع الزوجين وصلاح مزاجهما ، فإن صلح المزاج حصل الولد وإلا فلا .
- ٣- كما نسبوا الأمراض التى تصيب الأطفال والمؤمنين إلى إحالة الأجسام والمواد لا إلى الله الذى أصاب بها من شاء من خلقه .
- ٤- أما البرد فقد يحصل باعتراض الريح له فى الهواء فتجمده .
- ٥- ولم يجوزوا خلق الله للشرور والامتحانات إلى غير ذلك من أقوالهم .

ج- ومن مسائل القسم الثالث

- ١- تجويزهم الكذب كالمخطابة .
- ٢- ووافقوا المشبهة فى أن أسماء الله هى ذات الله ، وهو مذهب الكرامية .
- ٣- وشاركوا المجبرة فى أن جميع ما أصاب المظلومين من الجراح والآلام .. وغير ذلك فعل الله ..
- ٤- ونفوا العوض على المضار ، كما تقول المجبرة .
- ٥- وأجازوا أن يأخذ الولد بذنب والده ،
- ٦- وقالوا : بأن الله يصرف الرزق عن أولاد المماليك لكفر آبائهم !
- ٧- ووافقوا المجبرة الصفائية فى أن العلم والقدرة والحياة صفات لله تعالى لولاها ما كان عالماً قادراً حياً .

د - كما وافقوا الفروع في أربع مسائل

لم يذكر الإمام أحمد منها شيئاً ، منذرعاً بالإطالة وهي تمس موضوع الإمامة عند الزيدية .

* * *

عموماً ظهرت المخترعة من الزيدية كرد فعل للمطرفية ، ليقولوا بأن الله يخترع ما زعمت المطرفية أنه من تأثير الخواص وانقرضت المطرفية تماماً كما قالوا .^(١)

وهكذا يوافق المطرفية الزيدية الهادوية في الفروع والإمامة ، ويخالفونهم في العقيدة^(٢) .

قام أحد علماء الزيدية^(٣) بالمقارنة بين الزيدية والمطرفية في بعض المسائل فقال :

١ - إن الله تعالى هو الخالق لجميع العالم من الأرض والسماء وما بينهما وما تحت الشرى ، وأنه الذي أحدث النبات وأمات الأموات ، وأنشأ السحاب واخترع البريات من غير سبب من الأسباب ، بل كفت في ذلك قدرته وأبرت فيه إرادته وسنته^(٤) .

وقالت المطرفية الشقية ما خلق الله بقصده وإرادته إلا الأصول الأربعة التي هي الماء والنار والشرى والهواء ، وربما زاد بعضهم معجزات الأنبياء ، وكذبوا قول الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٤) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ السَّارِعُونَ (٦٥) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاخًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) ﴾^(٥) .

٢ - قالت الزيدية : « إن حراسات الأرض كالجراد والديدان والخنافس والجعلان والمقارب والحيات هي خلق الله تعالى وإرادته وقصده .

(١) انظر يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية - ق ٣٨ ، وما بعدها ، والشرقي : شرح الأساس ، ص ٦٣ ، ٧٢ .

(٢) يحيى بن الحسين : المصدر السابق ١ ورقة ٤١ ظ .

(٣) هو العلامة عبد الله بن زيد العنسي في كتابته «المنهاج للوائح في الرد على المطرفية» وقد ذكر هذه المسائل يحيى بن

الحسين في طبقات الزيدية ٨٢ ظ - ٨٣ و .

(٤) يحيى بن الحسين : المصدر السابق ، ورقة ٣٩ ظ .

(٥) سورة الواقعة : الآيات ٦٣ - ٧١ .

وقالت المطرفية : « ليست من خلق الله ولا من إرادته وإنما قبيحة ، وكذبوا قول الله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ (١) » .

٣- قالت الزيدية : « إن مرض الأجساد وموت الأولاد ، وحوادث العاهات ، وجميع الآفات من خلق بارئ البريات » (٢) .

وقالت المطرفية : « ليس ذلك من خلق الله ولا من قصده ، وكذبوا قول الله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ (٣) » .

٤- قالت الزيدية وسائر علماء الإسلام : إن الله تعالى هو الرازق للآبرار والفجار والأشرار والكفار » (٤) .

وقالت المطرفية : إن الله تعالى لا يرزقهم في حال من الأحوال ، وكذبوا قول الله تعالى : ﴿ إِنْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا كَانَتْ خَطَاً كَبِيراً ﴾ (٥) .

٥- وقالت الزيدية : « إن القحط والخير والشر والصحة والمرض كله من خلق الله تعالى وإرادته .

وقالت المطرفية : ليس ذلك بإرادته وقصده وخلق » (٦) .

قالت الزيدية : الغيث والبرد من اختراع الله تعالى وإرادته (٧) . وقالت المطرفية انه من صنع الطبيعة بعضها ببعض .

* * *

(١) سورة النور : آية ٤٥ .

(٢) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية الصغرى ، ورقة ٣٩ ط .

(٣) سورة الملك : آية ٢ .

(٤) يحيى بن الحسين : المصدر السابق نفسه .

(٥) سورة الإسراء : آية ٣١ .

(٦) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية الصغرى ، ورقة ٤٠ و ٤١ ط .

(٧) المصدر السابق ورقة ٤٠ ، ٤١ و ٤٢ ط .

ترجمة جعفر بن عبد السلام

١- هو جعفر بن أحمد بن أبي يحيى عبد السلام بن إسحاق ، شمس الدين ، التميمي البهلولي اليماني : قاض من فقهاء الزيدية . له كتب ، منها « النكت والجميل - في » في الأمروزيانة ودار الكتب ، و « إبانة المناهج في نصيحة الخوارج » - في دار الكتب . توفي سنة (٥٧٣ - ١١٧٧ م) .

هذه ترجمته في الزركلي ، وقد استقى هذه الترجمة من عدة مصادر نذكرها للفائدة .

- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ١١٢ .

- العليمي ؛ عبد الرحمن بن محمد العمري : المنهج الأحمد - مخطوط .

- ابن مفلح الحنبلي ؛ برهان الدين بن إبراهيم بن محمد : المقصد الأرشد - مخطوط بدمشق .

- الذهبي : سير أعلام النبلاء - مخطوط « المجلد ١٥ » .

- ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ؛ ١ / ١٢٣ .

- السيوطي : بغية الوعاة ؛ ص ٢١١ .

٢- واختلفت ترجمته بعض الشيء عند رضا كحالة^(٢) .

حيث قال : هو جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى الأبنأوى ، البهلولي ، الزيدية ، شمس الدين : فأسقط من اسمه (ابن أبي يحيى ... ابن إسحاق ... التميمي ... اليماني) .

ثم ذكر أنه : عالم ، محدث ، ولم يذكر أنه كان قاض من فقهاء الزيدية .

أما تاريخ وفاته فذكره مطابقاً لما ذكر الزركلي (٥٧٣ هـ - ١١٧١ م) ، ولم يذكر تاريخ حياته ولو بالتقريب ، ولكن يمكن وضع تاريخ مولده على وجه التقريب ، وهو سنة (٥٠٠ هـ) أو بعدها بقليل . لقونه ؛ ^{تاريخه} ؛ « أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين » .

(١) انظر الأعلام ج ٢ / ١٢١ .

(٢) انظر معجم المؤلفين ١ / ٤٨٦ .

هناك فروق أخرى تحسب لترجمة كحالة وهى :

- ١- ذكره مكان وفاته وهى (يسناع حدة - تقع جنوبى صنعاء) .
- الشئ الآخر تحديده عدد ما ألف من كتب على التقريب فقال : « من مصنفاته الكثيرة » التى تبلغ الأربعين . وذكر تسعة منها ؛ هى :
- ١- إبانة المناهج .
- ٢- نصيحة الخوارج .
- ٣- مقارود الإنصاف (والتي نقوم بتحقيقه) .
- ٤- البالغة فى أصول الفقه .
- ٥- نكت العبادات وجمل الزيادات فى الفقه .
- ٦- شرح نكت العبادات .
- ٧- الأربعون الجعفرية .
- ٨- بتسير المطالب إلى أمالى أبى طالب .
- ٩- مسند فى الحديث .

وقد استقى ترجمته من المصادر التالية :

- ١- الجندارى : تراجم الرجال ٩٤ - ١٠ .
- ٢- بروكمان : تاريخ الأدب العربى ١ / ٦٩٩ - ٧٠٠ .
- ٣- مجلة المورد : مجلد ٣ ، عدد ١ / ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٢٩ .
- ٣- ثم ذكر يحيى بن الحسين المؤرخ الزيدى فى كتابه «طبقات الزيدية» ، وهو مخطوط ، عنه ^(١) :

أنه أحد أقطاب الاعتزال فى اليمن ، كان فى بداية أمره من الاسماعيلية ، فقد كان والده أحد حكام وعلماء الاسماعيلية الكبار ، الذين يعول على أرائهم وفتاويهم ، وكان أخوه عيسى شاعرهم ونشأ بهم ، وهكذا ظل فترة من الزمن ، حتى اعتنق آراء الزيدية المخترعة ، ودخل فى حاشية المتوكل على الله ، أحمد بن سليمان ،

(١) طبقات الزيدية ق ٦٤ .

ثم سافر بعد ذلك إلى العراق للوقوف على آراء المعتزلة ، وجلب المزيد من مصادرهم إلى اليمن .

وقد تصدى القاضى جعفر لفكر وآراء المطرفية وغيرهم من الفرق الدينية فى اليمن^(١) .

٤- فى وصف بعض مخطوطات القاضى شمس الدين

١- رسالة فى الرد على المطرفية

- تأليف القاضى شمس الدين جعفر بن أحمد بن السلام بن اسحاق اليماني الزيدى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ ، (وهو خطأ واضح حيث ذكر المؤرخون أنه توفى ٥٧٣ هـ ، ولعله سهو وخطأ من الناسخ) .

- بآخرها دعوة أمير المؤمنين أحمد بن سليمان بن الناصر للدين بن الهادى إلى الحق المبين .

- وهو مخطوط كتب فى القرن الثامن الهجرى .

- عدد أوراق ٣٥ ق .

- المخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

- وهناك مصورة منه بدار الكتب المصرية ميكروفيلم تحت رقم ٢١٥٣ - ١٨٨^(٢) .

٢- المسائل العشر التى فيها الخلاف بين الشيعة وما شاع بينهم لأجلها فى المباحة والقطيعة :

- جمع القاضى شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن إسحاق اليماني الزيدى المتوفى حوالى سنة ٧٠٠ هـ . (وهو خطأ تكرر لثانى مرة فى قائمة المخطوطات) ..

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر المخطوطات العربية باليمن : ص ٢١ وفهارس دار الكتب .

- الموجود منها إلى أوائل المسألة الخامسة .
- مخطوط بالقرن الثامن الهجرى ، ١٨ ورقة .
- بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .
- وهناك مصورة منه بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم تحت رقم ٢١٥١ / ٣٧٧^(١) .

٣- النقض على صاحب «المجموع المحيظ بالتكليف» فيما خالف فيه الزيدية فى باب الإمامة :

- وفيه ينقض القاضى رأى المعتزلة فى الإمامة عند الشيعة الروافض والزيدية ، وقد اختار موضوعاً لنقده ما كتبه القاضى عبد الجبار المعتزلى فى كتابه «المجموع المحيظ بالتكليف» والذى جمعه له تلميذه ابن متويه .
- وورد أنه للقاضى أبى الفضل جعفر بن أحمد ... وكنيته شمس الدين وليس أبو الفضل .

- المخطوط نسخ منه ٦٠٥ و عدد أوراقه ١٨ ورقة .
- وأصله موجود بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ٢٠٤ - علم الكلام) .
- ومنه مصورة بدار الكتب المصرية ميكروفيلم تحت رقم ٣٣٦ / ٤٤٥ .

٤- نكت العبادات وجمل الزيادات :

- وأخطأ الناسخ كذلك فى ذكر كنيته .
- ثم ذكر عن المخطوط : هو مختصر فى الفقه على مذهب الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين .
- نسخ سنة ٨٠٢ هـ ، وأوراقه ١٣٣ ورقة .
- والمخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

(١) انظر قائمة المخطوطات العربية باليمن المصورة ، ص ٤٥ .

- والموجود منه بالقاهرة مصورة بدار الكتب ميكروفيلم تحت رقم ٢٢٥٧ / ٤٤٦^(١).

وهكذا نجد النساخ يخطئون فى كنيته فيكتبونها مرة صحيحة وهى «شمس الدين» ، ومرة خطأ «أبو الفضل» .. وكذلك يخطئون فى تاريخ وفاته والصحيح سنة ٥٧٣هـ .

ولمن يريد الاستزادة من مؤلفاته فليراجع ما يلى :

- ١- نحل إسلامية - فقه الإمامية ظلت رقم ٤٨ .
- ٢- شرح النكت والجمل رقم ٤٨ .
- ٣- شرح النكت والجمل رقم ١٣٩ .
- ٤- رسالة الرد على المطرفية رقم ٤١٢٤٠ .
- ٥- الخميسيات رقم ٢٨٧٩٠ .
- ٦- نظام الفوائد وتقريب المراد للنزائد رقم ٨٦ ٢٨٠ ب حديث نحل إسلامية .

* * *

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

صور المخطوطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِيهِ تَشْفَعُونَ **والله**
 سألتم ومنا الله وأياكم للبيان والهدى وعصمتنا
 جمعاً عن مواقع الهلاك والزيغ ولعناداً ومنا بعد
 أهل الزيغ والهوى ومن غلب عن طوائف أهل القبر والنفاق
 أن أوضح لهم حكمة من المبادئ التي خالفت فيها المطرقة في محم
 ما سبب اليهم المغالاة المتناوضة والمذاهب المتعارضة
 التي تسالوا أصولها ومبادئها أسبيلاً صحيحاً لم يسعوا من غيرها
 وبما لحقها معاصرتنا وولمة أنهم لحقوا سائر ديار علي وحده
 يشتركون في معتزلة الخواص والعوام وسعوا على تكاثر أهل
 المذنبين وأهل الكلام وطوائف المالعية الكافية من ملة الإسلام
 وولم أن ذلك جمع بل فائدة عظيمة من إحدائها التفتية لله على
 عظم ما أصاره إليه والثانية الحذرة لغيرهم من فتاوتهم عليه
 وولمة أن أقطع ما يعرف به أئمة الخطاه في خلافه أن يكونوا
 خالفوه بأفضال ما أجمع مع حصده عليه لأنه يصير بين
 أهل الملة أن لا يجمع عن خلافه فيعود إلى الحق ما سبب اعتلاجه
 وأما أن نصر على خلافه ظهر عناده فأوضح ما سبب وولم

اعلم عرفت من هذا انهم يوردونهم نقا ودا الاصناف الى عبود
 الاحكام المنفعة من الخلاف في ان احايه مسيلكم
 ومواعده ان اذبح من واحدا من الذين ولو اورد الحق المبين
 حكمان نك من سبب البعد بين الله تعالى وهو اصدوا القائلين
 ان الذين نكهم من انهم لنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه
 لنا من الكتاب اول ما نعلمهم الله وبلغهم الاغنى
 الذين تابوا واصلوا وبلغوا اباؤكم انتم علمهم وانا التواب
 الرحيم **قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله الامه**
 الاحسان من سئل عن علمه فكنه الم يوم القيامة **قال**
 الخاتم من اربعة وعده احمد **يعرفون** الله شفيعه **قال**
 منها من الشايل دونوا بها وعلى ازل ركعتي كل مسئلة
 ما ذهبوا اليه ثم اوضح ان قالوا به محال الا قول الى
 اجمعوا عليها وهي التي سماها اصول عباده الكلام وسبب
 معدنات عباده المطلق ومحال ايضا للفرع الى
 تقصيرها كل الاقول هي التي تسمى تناخ المقدمات
 عباده المطلق بذلك ليعلم انهم منصف ان الذي
 اختارته المطرعية من المعاني وهذا الكتاب

وما حذر تحراها مما لا ينبغي لها قبل الاختياره وان لا تكتب
 الله وليتحقق لولا لصحي اللهم في الدين فسلوكي معكم سبيل
 البر فبذلك وان كان في الامور ما وجد النبي صلى الله
 عليه وسلم اتبعني في الامور بعد انما كنت في
 وصحت لغيري ولا في الخبر الماضي ومن الله سبحانه
 المعونة والسداد والتوفيق في الاضداد والافراد منه
 ولطفه **مسئلة الاولى**
 قولهم ان عقل الانسان هو قلبه الذي هو بعد فهم
 جوف ومذهبه في ذلك طاهر معلوم ومناظر به
 عليه نعم وفه في ذلك سبيل الاصلين ان العقل عند
 القلب وهو ما يرد في هذه النسخة وقد عرفت ان العقل
 هو القلب ومعلوم ما هو في ذلك وطريقه في سبيل
 المحزون والميت قد زالت عقولهما وسبيلها المبرر
 قلوبها ونسخة هدر الاصلين ان عقولها انما
 حفر قلوبها الباقية في نفسهم ان قد زوال
 بان يقولوا ان العقل على ضربين احدهما القلب

وهو وجه الله على خلقه والباي هو العلم والذو نور والمويد هو
 العلم دون القلب لان هذا ما طلائحه ان حجه الله بسفحة دالمه عن
 البايم عدل ان العقل الذي هو وجه الله يعلم هو غير القلب
 ولهذا دفع المكنية عنه لا يوزر في الخبر عن النبي صلى
 الله عليه وهو الله قوله ومع العلم من الله عن البايم حتى
 يستنطق وعن المحور حتى تفق عن الصبح حتى يطل
 ان يكون العقل هو القلب بولك في عاده من سلاو اهلين
 لوجان بطلان ياد هو الله من ان العقل هو القلب احدهما
 قوله ان العقل هر صفة للعالم هو موجب سميته عاقل
 عده هو البايم ان الله الموجه للتسمية عده هو ان يكون
 الاخر صا فليس في هذا من اهل ان العقل عن قوههم كما ترون
 هذه النتيجة ويزعمون ان القلب **المسألة الثانية**
 قوله ان علوم الاسرار كلها فاعله فاعلمها لاختياره فيسبون
 هذه القضية بل العلم الاوليه وسائر العلوم الضرورية
 وبل العلم المكنسية الاختيارية فيقولون ان علم العاقل من الله
 اختاره لنفسه فاعله فاعله لاختياره فانها فاعله
 لنفسه فاعله وان لم يشاء لم يفعل ولم يفعل ذلك

في ذلك العشر ولو ان انقضاء ما قد غور لم يبق في ذلك
 من ذلك فليقر الله سبحانه الى الذي دخل حيا في ذلك فليقره عن
 انفسه لا يحار عباد الله في غير حوائجهم انما انما اعني ان
 الزيادة في ذلك من ان انما انما في ذلك من ان انما انما انما
 الله سبحانه وتعالى لا يدرى انفسه الله تعالى
 من العباد انما هو طوبى في ذلك من ان انما انما انما
 الآخر وكذلك فان ما ذهب الائمة على السبيل في المحظوظين
 وعلمنا الاسلام بغيره على الصديق وما ورد في طاهر
 من ان الله من الدنيا هو الذي في الدنيا من حال في
 النبي ما اصاب به من ساء وصدق عن النبي ما اصابه من التذليل
 والاعتناء به ولو لم يكن في ذلك الا ما زوى عن الهادي
 عليه السلام انما اصاب في ذلك من ان انما انما انما
 زوجه قال الله ما اصاب في ذلك من ان انما انما انما
 انما زوجه بعد ذلك من ان انما الله الذي اصابوا بحق
 التعاون في الحما فيه كفاية كافي له **فصل**
 في عمل الزوجه من ان الله تعالى في ذلك من ان انما انما
 الله عليه ما اصاب من الشرفه وما طهره من عا حريمه

بالمزنا العظيمة التي احبها السوء والله لم يجرده
وزعم ان الله يسوي بينهم ولم يفرقهم اصنافا في الخلق
من العزوة والعجم والحبش والبربر والذرية والافرنج
والهند والبيدرية ومن امة الى امة وجعلهم فيهم احوالنا
على طوع واختر لا نلنا انفسهم بغيره انما هم بعينهم
لا يزد به وان كل واحد في الحيا والوفاء ومنهم على العمل
لنفسه يبوذ مثل نبوه محمد صلى الله عليه وآله واولادهم
وعزائهم القول ذلك وحالفنا وزد به فخر القرآن
وما قامت به ادله الهدى والبيان والى الله يعال
الامم احلهم للسل اولئك الذين انزلناهم الكتاب
والحجج والنبوه فلو كفرت بها ما ولا تقدر وكلنا بها
معمولا ليسون بها مكافرين في حق الله والى الله
نوحنا واورثاهم وجعلنا في ذريتهم النبوه والكتاب
واما انكذرات الفتن والكثير من التي عينا بها في طهر
ان الله تعالى انما انزلناه طهوان الله عليهم انواع الدين
واجتهدوا بالنبوه التي هي النبالة والحق انك
مؤكدوا بالاحتياز عبادكم كما وان تنهوا
حائزهم الله تعالى ان توبن لرحمتنا نوري شدة

أورد في بيان الله أعلم حيث جعل رسله وآله وقال تعالى
من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فليقلعوا عن الدين الذي
هو الدين واشتروا به وقال تعالى قل إن الله يريد
يوثقه رسله والله واسع عليم خسر من حمله شيئاً
والله ذو العرش العظيم وكذا ذكر مذهب الإمام
عليه السلام والكافة علماء الأئمة إن الله تعالى
هو الذي اختص أنبياءه بالنبوة والكرام بها دون
من شواهم من البرية وصيرهم على غيرهم منزلة النبوة
والمراتب العلية وعدودهم في ذلك عدم قبول
كثير من أسماهم عن العيسم والهارك الحق عليها
السبل الواحشيه الأطاله لاوردت منها في هذا
الموضع ما يكفي السيرة فيه ولا حتى قد جمعت منها كثيراً
في الكتب التي أوجبت منها مذهب الأئمة عليهم السلام
من أن أورد كل طائفة في مواضعه ولو لم يرد ذلك إلا ما
يروي عن الهارك عليه السلام في تفسيره أن الله
يعلم كعدائنا وأود منا فضلاً عما جالنا معه
والطيبه الناله الحداء عن عليه السلام العطر

الذي اناه الله على اداء ووظي الله عليه هو ما اخضع
له من النبوه والرفعه به من خلد الكرامه لكان من ذلك
كثافه كافيه كعبه والقصود الوازده عنه وعن غيره
من الامم عليه السبل الثمانيه في كل هذا الموضع
عزرا من ~~الصف~~ الصف بعد العليل من عايد الزدعه
التطويل والله للقائد ولو لي انظر بنا على الزدعي
المقال انشدوا في ~~له~~ وما يدل على طرا من قول
يقول ان النبوه فعل النبي فعلها النفسه واركانه
من الجمله فاذر على من جعل النفسه مثلها هو ان ذلك
لو كان في آقاكم الماحض امير المؤمنين عليه السبل على راجح
مع كثر محباده واحتماده وعظم عنايته وجهاده
وكذلك بعد الامه التي اتقى ومن معهم العلماء
العاملين لما كمالوا هذه الدرجه مع الله عز وجل
الوسع في العباد وبلغوا في العلم من الامتياز
علمنا بذلك ان النبوه ليست من افعال العباد وانها
تعالى عن افعالهم والاحتماد وهذا واضح البيان

وصف المخطوط

- هذا المخطوط بمكتبة الجامع الكبير ٧٨ علم الكلام (كتب الوقف) ف ٩٣ - ك ٥١٠ .
- تحت عنوان : مقاود الإنصاف في مسائل الخلاف - ومعه مسائل الهدية في مذهب الزيدية .
- للمقاضي شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبي يحيى اليماني الزيدى المتوفى سنة ٥٧٣ .
- أوله : سألتم ، وقفنا الله وإياكم للبيان والهدى .. أن أوضح لكم جملة من المسائل التي خالفت فيها المطرفية .
- وآخره : وهذا واضح البيان بحمد الله الواحد المتأن ، وصلى الله على محمد وآله ، خير آل وسلم كثيراً .
- كتبت هذه النسخة بقلم معتاد ، سنة ٦٢٣ هـ . وبآخرها ثلاث ورقات ذكر فيها خطبة العيدين وخطبة النكاح . ضمن مجموعة (الكتاب الخامس) .
- من ورقة ١٧٠ - إلى ١٩١ .
- عدد الأوراق ٢٢ ق .
- عدد السطور ١٨ سطراً .
- مقاس الصفحة ١٢ × ٥ سم .
- صور هذا المخطوط في يوم الخميس (٧ من ذى القعدة ١٣٩٤ هـ . الموافق ٢١ من نوفمبر ١٩٧٤) ، لمعهد المخطوطات العربية والتابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية .

حول موضوعات الرسالة

عبارة عن تحذير وتنبيه من القاضي جعفر بن عبد السلام من عقائد المطرفية وأرائها . وأجرى الرسالة على عدة مسائل :

- ١- المسألة الأولى : هل عقل الإنسان هو قلبه .
- ٢- المسألة الثانية : نقد المطرفية في أن علوم الإنسان كلها فعله .
- ٣- المسألة الثالثة : نقد المطرفية في أن الإنسان يبطل في كل وقت .
- ٤- المسألة الرابعة : نقد المطرفية في أن الله لم يقصد شيئاً من خلقه .
- ٥- المسألة الخامسة : نقد المطرفية في أن البلاء من الله .
- ٦- المسألة السادسة : نقد المطرفية في أن الله لم يرد شيئاً من الآفات والمضار .
- ٧- المسألة السابعة : نقد المطرفية في إنكارهم الحكمة من الآفات والمضار .
- ٨- المسألة الثامنة : نقد المطرفية في ردهم جراحات المعتدين لله فعلاً حادثاً له لا لهم .

٩- المسألة التاسعة : نقد المطرفية في قولهم أن أقوال العصاة الحلال تعد غضباً .

١٠- المسألة العاشرة : نقد المطرفية في قولهم أن حسنات العاصي معاصي .

تلى ذلك مسائل الهدية في مذهب الزيدية وتناول فيها مسائل هي أن :

١- الله هو الذى ينزل المطر .

٢- والبر من الله .

٣- والله هو الذى اختص أنبياءه بالنبوة .

وهذه الرسالة من الرسائل التى حفظت لنا الجانب النقدي للزيدية على المطرفية .

كما حفظت لنا بعض آراء المطرفية ، ومن هنا تاتى أهميتها فى الدراسات الكلامية ، سيما الجانب النقدي منها ولذلك أرجو أن تحل هذه الرسالة فى مكانها المناسب من رعاية الدارسين .

* وقد قمت بالتقديم بدراسة عن المظرفية ، لهذه الرسالة ووصفها ونسخها
وتفويدها ، والتأكد من نسبتها لصاحبها وتحقيقها والتعليق عليها وتخريج الآيات
والأحاديث وتراجم الشخصيات ووضع العناوين والفهارس .
والله يهدي لسبيل الرشاد

إمام عبد الله

وبه نستعين والحمد لله

سألتهم ، وفقنا الله وإياكم للبيان والهدى ، وعصمنا جميعاً عن مواقع الضلال والردى ، وأعادنا من متابعة أهل الزيغ والهوى ، ومن بعد ^(١) عَنْ طَرَائِقِ أَهْلِ الْيَقِينِ والتقى . أن أوضح لكم ، جملة من المسائل ، التي خالفت فيها المطرُبية ، وصحة ما نسبت إليهم من المقالات المتناقضة ، والمذاهب المتعارضة ، التي سلّموا أصولها ومقدماتها تسليمًا صحيحًا ، ثم منعوا من فروعها ونتائجها منعًا صريحًا .

وقلّتم أنكم تحبون بيان ذلك ، على وجه يشترك في معرفته الخواص والعوام ، ويتفق على إنكاره أهل المنطق وأهل الكلام ، ويظهر الحال عنه للكافة من فرق الإسلام .

وقلّتم : إن ذلك للجمع بين فائدتين عظيمتين أحدهما : التنبيه لهم على عظيم ما صاروا إليه ؛ والثانية : التحذير لغيرهم من متابعتهم عليه .

وقلّتم : إن أقطع ما تعرف به المخالف ؛ بخطئه في خلافه ، أن يكون ما خالف فيه ، ناقضاً لما أجمع مع خصمه عليه ؛ لأنه يصير بين أمرين ، إما أن يرجع عن خلافه ، ١٧١ و / فيعود إلى الحق ، بأسهل علاج ، وإما أن يصرّ على خلافه ، فيظهر ^(٢) عناده ، بأوضح بيان .

وقلّتم : لعل معرفتهم بذلك ، تقودهم « بمقاود الإنصاف » ، إلى قيود الإجماع المانعة ^(٣) من الخلاف .

فرايتُ إجابة مسألتكم ^(٤) ، وموافقة إرادتكم ، من واجبات الدين ، ولوازم الحق المبين ، وكتمان ذلك ، من شيم المعتدين ، قال الله ، تعالى ، وهو أصدق من القائلين :

(١) في الأصل : عبد .

(٢) في الأصل : شهر .

(٣) في الأصل : المانعة .

(٤) في الأصل : مستحكم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكُمْ أَنَّهُمْ وَأَنَا التُّرَابُ الرَّجِيمُ (١٦٠) ﴾^(١) .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، الأئمة الأخيار - : « من مثل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »^(٢) .

* منهج المؤلف فى الرسالة :

وقد اعتمدت ، بعد توفيق الله سبحانه ، على ذكر مهمات المسائل ، دون توابعها ، على أن أذكر فى كل مسألة ما ذهبوا إليه ، ثم أوضح أن ما قالوا به ، مخالفٌ للأصول التى أجمعوا عليها ، وهى التى تسمى أصولاً عند أهل الكلام ، وتسمى مقدمات عند أهل المنطق .

ومخالف أيضاً للفروع ، التى تقتضيها تلك^(٣) الأصول ، وهى التى تسمى نتائج المقدمات ، عند أهل المنطق .

١٧١ ظ / وبذلك يتضح لكل منصفٍ ، أن الذى اختارته المطرفية من المقالات ، فى هذه المسائل ، وما جرى مجراها ، مما لا ينبغي لعاقل أن يختاره ، ولأن يذهب إليه ، وليتحققوا بذلك نصحي لهم فى الدين ، وسلوكى معهم سبيل المرشدين .

وإن كان لى أسوة بأحد النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - : ﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾^(٤) ومن الله ، سبحانه ، استمد المعونة ، والسداد والتوفيق ، فى الإصدار والإيراد ، بحمته ولطفه .

* * *

(١) سورة البقرة : الآيات ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) الحديث : رواه ابن ماجه فى سننه ٩٧/١ (٢٦٤) ، والترمذى ٢٩/٥ (٢٦٤٩) ، وأبو داود ٣٢٠/٣ (٣٦٥٨) ، وأحمد فى مسنده ٤٩٩/٢ و ٥٠٨ ، والديلمى فى فردوس الأخبار ٤ / ١٣٠ . والنيسابى فى الجامع الصغير ١ ص ١٨٠ . عن ابن عدى فى الكامل وضعفه .

(٣) فى الأصل : تلك .

(٤) سورة : الأعراف : آية ٧٩ .

المسألة الأولى

هل عقل الإنسان هو قلبه؟

قولهم : إن عقل الإنسان هو قلبه ، الذى هو بضعةٌ لحم فى جوفه ، ومذهبهم فى ذلك معلوم ومناظرتهم عليه معروفة ، وقد سلموا أصليين (يوجبان عليهم نقيض ما ذهبوا إليه :-

أحدهما : أنهم يرون أن النوم يزيل العقل .

والثانى : أنهم يرون أن النوم^(١) .

إن العقل غير القلب ، وهم يكابرون هذه النتيجة ، ويزعمون أن العقل هو القلب ، ومعلوم تناقض ذلك ، وكذلك فهم يسلمون أن المجنون والميت ، قد زالت عقولهما ، ويسلمون أنها لم تنزل قلوبها ، ونتيجة هذين الأصليين ، أن عقولها الزائلة ، غير قلوبها الباقية ، وليس لهم أن يعتذروا عن ذلك ، بأن يقولوا إن العقل على ضربين ، :-

١٧٢ و / أحدهما : القلب وهو حجة الله على خلقه .

والثانى : هو العلم ، والذى يزول بالنوم ، هو العلم دون القلب ؛ لأن هذا باطل ؛ لأن حجة الله ، سبحانه ، زائلة عن النائم ، فدل أن العقل الذى هو حجة الله ، تعالى ، هو غير القلب ، ولهذا رفع التكليف عنه .

وورد فى الخبر عن النبى ﷺ ، وهو قوله : «رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يحتلم»^(٢) ، فبطل أن يكون العقل هو القلب ، وكذلك فإنهم قد سلموا أصليين يوجبان بطلان ما ذهبوا إليه ، من أن العقل هو القلب :-

(١) هناك كلام مطموس بالهامش بقدر نصف سطر .

(٢) الحديث : رواه البخارى : فتح البارى ١٢/١٢٣ (٦٨١٤) (٦٨١٦) ، ومسلم ج ١١ / كتاب الحدود الحديث (٣٢)

ورواه ابن مساجه ١/٦٥٨ (٢٠٤١) ، (٢٠٤٢) ، والنسرمذى فى السنن ٤/٢٤ (١٤٢٣) ، وأبو دارد ٤/١٣٩

(٤٤٠٣) ، والذراعى ٢/٢٤٥ (٢٢٩٦) ، وأحمد ١/١١٦ ، ١٠٠/٦ ، وفى مسند زيد ح (٧٧٧) ، والطبائسى

ح (٩٠) .

أحدهما : قولهم أن العقل هو صفة للعاقل ، وهو موجب تسميته عاقلاً عندهم ،
والثاني : أن الصفة الموجبة للتسمية عندهم ، لا تكون إلا عرضاً .
فينتج من هذين الأصلين ^(١) : أن العقل عرض ، وهم يكابرون هذه النتيجة ،
ويزعمون أنه القلب .

* * *

(١) في الأصل : اصلين .

المسألة الثانية

نقد المحترفة في أن علوم الإنسان كلها فعله

قولهم : إن علوم الإنسان كلها فعله ، ويفعلها ، باختياره فيسون في هذه القضية بين العلوم الأولية ، وسائر العلوم الضرورية ، وبين العلوم المكتسبة الاختيارية .

فيقولون : إن عِلْمَ العاقل ، أن العشرة أكثر من الخمسة فعله ، يفعله باختياره ، فإن ١٧٢ ظ / شاء فعله لنفسه ، فعلم ذلك ، وإن لم يشأ لم يفعل ، فلم يعلم ذلك مع أنه كامل العقل في الحالين جميعاً ، وكذلك سائر الأوليات والضروريات ، وهذا مذهب لهم معروف يتظاهرون به ، ويناظرون عليه ، وهم مع ذلك قد سلموا أصليين : أحدهما : أن من حق الفعل الاختياري ، أن يتمكن فاعله من أن يبدل ضده مكانه ، ويخرج منه إلى غيره مع سلامة أحواله .

والثاني : أن العاقل لا يتمكن من تبديل ضد هذا العلم مكانه ، والخروج منه إلى غيره ، فيعتقد أن الخمسة أكثر من العشرة ، مع سلامة أحواله .

فينتج من هذين الأصليين أن هذا العلم ليس باختيارى ، وهم يكابرون هذه النتيجة ، ويزعمون أن هذا العلم اختياري ، يكتسبه العاقل باختياره ، إن شاء .

وعلى هذا النحو يجرى الكلام معهم في سائر الضروريات ؛ لأن من أصابه ألم شديد في جسمه ، فالمعلوم عنده وعند كل عاقل ، أنه كما لا يختار نزول ذلك الألم بجسمه ، فإنه لا يختار علمه به ، وهم يعتقدون أن علمه بمرضه النازل به اختياري ، يفعله بنفسه متى شاء ، وقد سلموا مثل هذين الأصليين المقدم ذكرهما :-

أحدهما : أن من حق الاختياري أن يتمكن فاعله من أن يُبدل ضده مكانه ، ويخرج منه إلى غيره ،

والثاني : أن هذا المذهب لا يتمكن في حاله هذه ، من فعل ضد هذا العلم ، أو يخرج منه إلى غيره ، فيعتقد أنه صحيح معاً في .

١٧٣ و / فينتج من هذين الأصليين ، أن علمه بذلك ليس باختيارى ، بل هو ضرورى يحصل فيه ، شاء أم أبى ، وهم يكابرون هذه النتائج ومقدماتها ، ويزعمون أن هذه العلوم ، وما جرى مجراها ، مكتسبة اختيارية .

المسألة الثالثة

نقد المطرفية في قولهم أن الإنسان يبطل في كل وقت

قولهم : إن الإنسان يبطل في كل وقت ، ويحدث غيره ، فالذى قام هو غير الذى قعد ، والذى صلى هو غير الذى ظهر ، والذى أساء هو غير الذى اعتذر ، إلى أمثال ذلك ، ويفرون إلى ذلك ، من القول بحدوث الأعراض ، التى هى القيام والعقود ، والصلاة والطهور ، والإساءة والاعتذار ، حذراً منهم أن يصيروا مخترعة ، إن قالوا بحدوث الأعراض ، فارتكبوا - لأجل ذلك - القول بتجدد حدوث الأجسام حالاً بعد حال فيبطل الأول ، ويحدث غيره بعده ، وهذا - وإن كان معلوماً بطلانه عند كل عاقل ؛ لأن المعلوم عندهم كافة ، أن هذا المعتذر من إساءته ، هو الذى أساء بالأمس .

وكذلك سائر المذكورين ، ولهذا يعرفون أباؤهم وأبناءهم ، وأصدقاءهم وأعداءهم ، وذلك جملة العلوم الضرورية .

والمطرفية قد سلمت أصليين يوجبان نقيض ما ذهبوا إليه من ذلك :-

١٧٣ ظ / أحدهما : أنه يحسن ذم المسئ اليوم على إساءته بالأمس .

والثاني : أنه لا يحسن ذم غير المسئ بإساءة غيره .

فينتج عن هذه الأصلين أن هذا الذى حسن ذمه اليوم ، هو الذى أساء بالأمس ، وهم يكابرون هذه النتيجة ، ويزعمون أنه غيره ، وأن المسئ بالأمس ، قد بطل ، وحدث هذا الذى ذموه .

وكذلك الكلام فى المحمود اليوم ، على الإحسان بالأمس ، وسلموا أيضاً أصليين آخرين فى هذا :-

أحدهما : أنه يحسن أمر واحد اليوم ، بشئ يفعله غداً .

والثاني : أنه لا يحسن أن يؤمر بذلك ، من لا يبقى إلى غد .

فينتج من هذين الأصلين أن هذا المأمور ، يبقى إلى غد ، ولا يبطل ، ويحدث

غيره ! وإن الفاعل غداً هو الذى أمر اليوم ، بعينه ، لم تتبدل ذاته ، ولم تبطل ، ويحدث غيره ، وهم يكابرون هذه النتيجة . وكذلك قد سلموا أيضاً أصليين آخرين فى هذا :-

أحدهما : أن الذى عقد نكاح المرأة بالأمس ، يجوز أن يخلو معها اليوم .

والثانى : أنه لو كان غير الذى عقد عليها ، لما جاز أن يُخلَّو معها . فينتج من هذين الأصلين ، أن هذا الذى جاز أن يخلو معها اليوم ، هو الذى عقد عليها النكاح بالأمس . وعلى هذا النحو يجرى الكلام معهم فى أعيان الأجسام ، إذ ما من جسم ١٧٤ و / منها ، إلا وقد سلموا فى حقه أصليين ، أو أصولاً ، كلها ينتج أنه باقٍ لم يتجدد وجوده ، ولم يبطل ويحدث غيره فى مثل صورته ، وهم مع ذلك مكابرون لهذه النتائج والمقدمات .

* * *

المسألة الرابعة

نقد المطرفية في أن الله لم يقصد شيئاً من خلقه

قولهم : إن الله ، سبحانه ، لم يقصد شيئاً من خلقه ، سوى الأصول الثلاثة ، التي هي الماء والهواء والرياح ، وسوى معجزات الأنبياء ، عليهم السلام ، ونقم الكفار ، وما عدا هذه الأنواع الثلاثة ، فهو حاصل بفضة الأجسام وتركيبها ، ولم يقصد الله ، سبحانه ، إيجاد شيء منها كالأولاد ، والأشجار والشمار والسحاب والأمطار ، وغير ذلك من ضروب المخلوقات .

وقد سلموا مع ذلك أصليين :-

أحدهما : أن قصد الله ، سبحانه ، للشيء هو خلقه له .

والثاني : أنه الله ، سبحانه ، قد خلق جميع هذه الفروع ، التي أنكروا قصده لها .

ومعلوم أنه ينتج من هذين الأصليين أنه ، تعالى ، قصد جميع ما خلقه من أصل وفرع ؛ لأنه قد خلق الجميع ، وقصده للشيء ، هو خلقه له ؛ وهم يكابرون هذه النتيجة ، وينكرون قصده لهذه الفروع .

١٧٤ ظ / ومن يقل منهم : إن معنى قصده لما خلق ، هو أنه خلقه من غير أصل ، كالأصوات الثلاثة ، أو على غير الوجه المعتاد ، كمعجزات الأنبياء ونقم الكفار ، فاما سائر الفروع التي أوجدها من أصول ، وأجرأها على عادة مستمرة ، فلم يقصدها .

فإن قوله لا يصح ؛ لأنه يلزمه أن لا يكون قاصداً لكثير من معجزات الأنبياء ، عليهم السلام ؛ لأن كثيراً منها موجود من أصل ، وجزاز على وجه معتاد في باب ، نحو قلب العصا ، حية لموسى ، صلى الله عليه ؛ فإنها معجزة وجدت من أصل ، وهي العصا ، وجرت على ذلك الوجه مرات كثيرة .

وكذلك مصير اليد بيضاء من غير سوء ، وكذلك انفجار الماء من الحجر ، فإن ذلك

كله وُجِدَ من أصول ، وجرى على وجه معتاد فى بابہ مرات كثيرة متوالية ، فيلزم من ذلك على هذه القاعدة ، أن لا يكون ، سبحانه ، قاصداً لشيء منها .

ومعلوم أن هذا القائل قد سلم أنه قاصدٌ لها ، وهذا أصل ، وسلموا بها موجودة من أصول ، وجارية على وجه معتاد ، فينتج ذلك أنه ، سبحانه ، ١٧٥ و / قاصد لأفعاله ، وإن وجدت من أصول ، وعلى الوجه المعتاد وكذلك فإنهم قد سلموا أن نعيم الجنة ، وما فيها من ضروب الخيرات ، هى أفعال مقصورة له ، سبحانه ، مع أنها موجودة عندهم من أصول ، وهى أجسام هذا العالم ، وحادثة على وجوه معتادة ، يتبع بعضها بعضاً ، ولذلك قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ ^(١) فإذا صح ذلك ، بطل قولهم : إن قصده ، سبحانه ، يرى شيئاً ، هو إيجادها لها ، من غير أصول ، أو على غير الوجه المعتاد ؛ وتناقضت مذاهبهم فى ذلك ، تناقضاً لا يخفى على متأمل بصير .

(١) سورة البقرة : آية ٢٥ .

المسألة الخامسة

نقد الطرفية في إنكارهم أن البلاء من الله

قولهم بإنكار بلوى الله ، سبحانه ، لأحد من عباده ، بشئ من النقائص في النفوس والأموال ، نحو مرض الأجساد ، وموت الأولاد ، ونفاذ الأموال بالتبذر والجراد ، وغير ذلك من النقائص والآفات ، وهم قد سلموا أصليين :-

أحدهما : أن هذه الآفات والمضار ، لا تخرج عن أن تكون أجساماً أو أعراضاً ضرورية .

والثاني : أن جميع الأجسام والأعراض الضرورية ، فعل الله ، سبحانه .

ومعلوم أنه ينتج من هذين الأصليين ، أن هذه الآفات والمضار فعل الله ، سبحانه ، فكيف يجوز أن ينفي عنه ، ما هو فعله ، أو ينزه عما لا خالق له غيره ؟

١٧٥ ظ / وربما نجد فيهم من سلم أنها فعله ، ويقول أنه سبحانه لم يفعلها ! ...

وربما يقول : إنه تعالى ، لم يفعلها في حال حدوثها ، حذراً من أن يؤديه ذلك إلى موافقة المخترعة في ذلك ، ويقول أيضاً إنه لم يفعلها قبل حدوثها ؛ لأن كونها موجودة في حال ، هي فيها معدومة ، محال ، ويقول : إنه لم يفعلها بعد حدوثها ؛ لأن إيجاد الموجود محالٌ ، فيخرج من هذا التفصيل أنه ، تعالى ، لم يفعلها عنده أصلاً بعد اعترافه بأنها فعله ، ولا شك في كون ذلك متناقضاً متنافياً ، لا يذهب إليه عاقل ، وقد ذهبوا إلى ذلك !

* * *

المسألة السادسة

نقد المطرفية في أن الله لم يرد شيئاً من الآفات والمضار

قولهم أنه سبحانه لم يرد شيئاً من هذه الآفات والمضار ، ويزعمون أنهم ينزهون الله ، سبحانه ، عن إرادة ذلك ، مع أنهم قد سلموا أصليين :-

أحدهما : أن هذه المضار أجسام أو أعراض ضرورية ، وأنها لذلك فعله تعالى .

والثاني : أن جميع ما فعله فقد أراده ، وأنه لا يجوز أن يفعل ، سبحانه ، ما لا يريده .

ومعلوم أنه ينتج من هذين الأصلين أنه ، تعالى ، قد أراد جميع هذه الآفات والمضار التي امتحن بها عباده ، وهم يكابرون في ذلك ، ويزعمون أنه لم يرد شيئاً من هذه المضار .

١٧٦ و / وربما نجد فيهم من يسلم أنه تعالى ، أراد جميع ذلك ، وينكر أن يكون قصد شيئاً منه واعتمده ، ومعلوم أن ذلك مناقضة لا تخفى ؛ لأن المرجع بالقصد والاعتماد ، إلى الإرادة ، فهي ألفاظ مترادفة ، معناها في ذلك واحد ، ولهذا لا يصح أن يقول قائل : أردت إصابة زيد ، وما قصده^(١) ، ولا اعتمده ، ولا أن يقول : قصدت ذلك ، واعتمده ، وما أردته . كلُّ يعدُّ من قال ذلك ، مناقضاً جازياً مجرى من يقول : جلست في الدار ، وما قعدت فيها ، وما جلست ، وذلك بين الإشكال فيه .

* * *

(١) في الأصل : وما قصده .

المسألة السابعة

نقد المطرفية في إنكارهم الحكمة من الآفات والمضار

إنكارهم أن تكون هذه الآفات والمضار حكمة من الله ، تعالى ، وصواباً في تدبيره ، ودفعهم أن يكون فيها اعتبار في الدين ، وصلاح في عواقب الأمور ، وإنكارهم لذلك ظاهر معروف ، مع أنهم قد سلموا أصليين :-
أحدهما : أن جميعها أفعال الله سبحانه .

والثاني : أنه ، تعالى ، لا يفعل إلا ما هو حكمة في الصنع ، وصواب في التدبير . ومعلوم أنه نتيجة هذين الأصليين ، أنها حكمة وصواب ، وهم يكابرون ذلك ، ولو أنكر أحد منهم ، أن تكون جميع أفعال الله ، سبحانه ، حكمة وصواباً ، فقد سبق منهم كافة ، التسليم لأصليين متطابقين^(١) على هذين الأصليين :-
أحدهما : أنه ، تعالى ، عدلٌ حكيم .

١٧٦ ظ / والثاني : أن العدل . الحكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة وصوابٌ .
ثم تكون هذه النتيجة أصلاً ، وتسليمهم أن هذه المضار فعله ، أصلاً ثانياً ، ينتج منهما ما ذكرناه ، وهو أن هذه المضار حكمةٌ وصوابٌ ، وهذا بين لمن تأمله .

* * *

(١) في الأصل : متباينين .

المسألة الثامنة

نقد المظرفية في ردهم جراحات المعتدين

لله فعلاً حادثاً له لا لهم

قولهم : إن جميع ما يوجد في أبد أن المظلومين ، من الجراح والجنايات الحاصلة بضرب الظالمين بالسيوف ، وطعنهم بالرماح ، ورميهم بالسهام والحجارة ، فذلك كله فعل الله ، سبحانه ، لا فعل الجناة المعتدين ، وكذلك ما حصل في أموالهم ، من قطع وقلع وخراب ، وكل ذلك عندهم فعل الله ، تعالى ، لا فعل الجناة من الخلق ، وإن كانوا يسمون الجرح الحاصل في بدن المجرور أنجرأ ، والشجرة انشجأ ، ويسمون القطع انقطاعاً ، والقلع انقلعاً ، ويظنون أنهم إذا غيروا الأسماء ، تغيرت الحقائق والمعاني . . .

وأصل ذلك أنهم اعتقدوا أن أفعال العباد لا تعدوهم ، ولا يوجد من أحد منهم ، فعل في غير بدنه ، ومحل قدرته ، وأن جميع ما يوجد من الأفعال ، في الآلات المنفصلة ، نحو حركات السيوف في أيدي الضاربين ، وما يحصل معها من التقطيع ١٧٧ و / والجراح ، وحركات الأقلام في أيدي الكتابين ، وما يحصل بها من الكتابة في القلم والألواح ، وما جرى مجرى ذلك ، فكله فعل الله ، تعالى ، لا فعل غيره ، وهذه مقالة معروفة ، ومناظرتهم بالمدافعة ، والمكابرة عنها ظاهرة وبينة .

وهم مع ذلك قد سلموا أصليين :-

أحدهما : أن ما وقف على اختيار العبد فهو فعله .

والثاني : أن حركة القلم في يد الكاتب ، وما يحصل به من الكتابة ، وحركة السيف في يد الضارب ، وما يحصل به الإصابة ، فذلك موقوف على اختيار العبد .

ومعلوم أن نتيجة هذين الأصلين ، هي إنما حصل من هذه الأفعال في السيف والقلم ، وبهما في المفعول به ، فذلك كله فعل العبد ، لا فعل الله ، تعالى ، وهم يكابرون في ذلك .

وسلموا فى ذلك أيضاً أصليين : آخرين :

أحدهما : أنه يحسنُ من أحدنا أن يامرَ غيره بكتابة مخصوصة ، فى ورقة أولوح .

والثانى : أن لا يحسن أمره ، إلا بما هو فعل له .

ومعلوم أن نتيجة هذين الأصلين ، هى أن الكتابة الموجودة فى الورقة أو اللوح ، فعل الكاتب المأمور بها .

وسلموا أيضاً فى هذا أصليين آخرين :

أحدهما : أنه يحسن مدح الرامى ، بوقوع سهمه فى بدن المرمى ، وخروجه مارقاً منه ، أو ذمه على ذلك .

والثانى : أنه لا يحسن مدح أحد ولا ذمه ، إلا على ما هو فعل له .

١٧٧ ظ / ومعلوم أن نتيجة هذين (الأصليين) هى أن وقوع السهم ، وخروجه مارقاً ، كلها أفعال الرامى ، وهم يكابرون هذه النتائج ، وعلى هذا النحو ، يجرى الكلام فى هذه المسألة .

ومن عجيب أمر المطرفية ، أنهم ينفون عن الله ، سبحانه ، المصائب والآفات النازلة بالعباد ، على طريق الابتلاء والامتحان ، وينزهونه عن أن يتلّيههم برمد العيون ، وما جرى هذا التجريء من يضيفون إليه ، سبحانه ، ما يحصل فى عيونهم من الألم بلطم البغاة لهم ، وما يحصل فيها من العور برميهم لهم بالسهام والحجارة .

وينزهونه ، سبحانه ، أيضاً عن أن يتلّيههم بعصرة فى البطون ، ثم يضيفون إليه ما يحصل فى بطونهم من الآلام ، بركض البغاة الأجلاف لبطونهم ، وما يحصل فيها من الجراح ، بظعن الرماح ورمى السهام .

ومعلوم أنهم لو قبلوا^(١) القضية ، فأضافوا إلى الله ، تعالى ، ما نفوه عنه من ذلك ، ونفوا عنه ما أضافوا إليه منه ؛ لأصابوا الصواب ، ولو أنهم أيضاً سَوَّأ بين

(١) اعتقد أنها : لو قبلوا .

(٢) جاءت فى الأصل : إضافة .

(٣) وردت فى الأصل : نزهو .

الأميرين ، إما فى النفى لهما عنه ، تعالى ، أو فى الإضافة لهما إليه ، لكانوا قد أصابوا فى النصف من ذلك ، وإن أخطأوا فى النصف الآخر ، ولكنهم أخذوا الخطأ بطرفيه ، ١٧٨ و / فإخطأوا فى إضافة^(٢) ما أضافوه إليه ، وفى نفى ما نفوه عنه ، مع أنهم بذلك واقعون فى المناقضة فى ذلك كله ؛ لأنهم إنما نزها^(٣) الله ، سبحانه ، عن النوع الأول ، وهو ما يتبلى الله عباده من المضاربة ، لأجل أنه ضرر نزل بمن لا يستحقه ، فكان قبيحاً عندهم ، والله ، تعالى ، لا يفعل القبيح ، فكان نفيه عن الله ، تعالى ، أولى ، لانه لا يفعل شيئاً من القبائح على ما تقدم .

وكذلك فإنهم يضيفون إلى الله ، سبحانه ، ما أضافوه من هذه الجراح والمضار الحاصلة بجنايات الجناة ؛ لأجل أنه جعل العالم يحيل ويستحيل .

فخلق هذه الأبدان ، تنجرح لمن جرحها ، وكذلك سائر الأجسام ، وذلك عندهم ، يوجب نسبة ما حصل فيها من هذه الجنايات إليه ، تعالى ، وهذا بعينه قائم فيما نفوه عنه من المضار ؛ لانه قد خلق هذه الأبدان ، تنجرح بما يقع فيها من الجرب والجدري وغيرهما ، وخلق الأموال تتغير بما وقع فيها من الصرد والرياح وغيرهما ، فيجب أن يضيفوا ذلك إليه بهذه العلة ، وإلا ظهرت مناقضتهم فى التعليل ، كما ظهرت مناقضتهم فى المذهب .

وكيف يستقيم فى عقل عاقل ، تنزيه الله ، سبحانه ، عن فعل الجرح الذى يحصل فى رأس العبد بالبرد لعله أنه ظلم^٢ ؛ أو ضرر نزل بمن لا يستحقه ، مع إضافة الجرح ١٧٨ ظ / الحاصل فى الرأس بأن يرجسه بعض الناس ، ظلماً فى رأسه بجلمود . أكبر من البردة بمائة ضعف ، والجرح الحاصل به أعظم من الجرح الحاصل بالبردة ؛ مع أنه ضرر نزل بمن لا يستحقه ، وهو ظلم فى الحقيقة ! .

وهذا مما لا يخفى حاله ، على من له نصيب من التوفيق ، أو حظ من النظر والتمييز ، وقد خفى عليهم .

المسألة التاسعة

نقد المخترفة في قولهم

أن أموال العصاة الحلال تعد غصباً

قولهم : إن أموال العصاة ، التي اكتسبوها بطرق الحلال ، كالزراعة والتجارة والصناعة ، وما أشبه ذلك ، ليست برزق من لهم في الحقيقة ؛ بل هم مغتصبون لها ، يحرم عليهم التصرف فيها ، ماداموا عصاة !..

بل يتجاوزون هذا المقام إلى ما هو أعظم حالاً وأشنع مقالاً ، فيزعمون أن هذه الأرزاق ، لا تحمل لأحد من المكلفين ؛ إلا لمن كان مطيعاً ، ولا مطيع عندهم إلا من كان مطرّفاً ، قائلاً بمخاللتهم هذه وأمثالها ، دون سائر فرق الإسلام وأهل العلم والعبادة ، من كل فرقة من فرق الأمة ، وهذه المقالة ظاهرة بينهم ، والمناظرة عليها معروفة .

وهم مع ذلك ، قد سلموا أصليين آخرين ، في ذلك :-

أحدهما : أنه يجب على عصاة هذه الأمة زكوات أموالهم .

١٧٩ و / والثاني : أن الأموال المغصوبة في أيديهم .

وكذلك فقد سلموا في هذا أصليين آخرين :-

أحدهما : أن هذه الأموال تورث عنهم ، إذا ماتوا .

والثاني : أن الأموال المغصوبة ، لا تورث عن الغاصب .

فينتج من هذين الأصليين ، أن هذه الأموال ، غير مغصوبة في أيديهم .

وكذلك فقد سلموا أصليين آخرين في ذلك :-

أحدهما : أنه يحسن أمرهم ، بالإتفاق منها على أزواجهم وأولادهم ، بل على أحبائهم وجيرانهم .

والثاني : أنه لا يحسن الأمر بإتفاق^(١) الأموال المغصوبة في ذلك .

(١) ورد في الأصل : الإتفاق .

فينتج منهما أن هذا الأموال غير مغصوبة في أيديهم .

وكذلك فقد سلموا أصليين آخرين في ذلك :-

أحدهما : أنه يجوز وضوء العاصي بمائه الذي استفاد .

والثاني : أنه لا يجوز الوضوء بالماء المغصوب .

فينتج منهما أنه غير مغتصب لمائه .

وكذلك فقد سلموا أصليين آخرين :-

أحدهما : أنه يجوز صلاة العاصي في داره ويجزؤه .

والثاني : الصلاة في الدار المغصوبة لا تجوز ولا تجزئ . فينتج منهما أنه غير مغتصب لداره .

وهذه المقدمات ونتائجها كلها ، تقضى ببطلان قولهم ، الذي قدمناه في هذه المسألة ، وهم يكابرون هذه المقدمات والنتائج .

* * *

المسألة العاشرة

نقد المطرفية في قولهم

أن حسنات العاصي معاصي

قوله : إن حسنات العاصي وأفعاله الجميلة نحو : قرأه الأضياف ، ومواساة المحتاجين ، وحياطة المسلمين ، وإعداده الخيرات ، ونفقاته على الأرامل والأيتام ، معاصي منه لربه تعالى ، ويلحقون بذلك ما قام ^(١) به من الواجبات : كإقامة الصلاة المفروضة ، وأدائه الزكاة الواجبة ، وما جرى مجرى ذلك ، فيجعلون الجميع من هذه الأفعال الحسنة من جملة معاصيه القبيحة ! ..

وهذه مقالة لهم معروفة ، وهى من أعظم مقالاتهم التى يستبعد أهل العقول السليمة أن يكون فى الوجود من يقول بها ، وقد سلموا أصليين يقتضيان منهم من القول بذلك :-

أحدهما : أنه يحسن من العاصي جميع ^(٢) هذه الأفعال ، التى تقدم ذكرها ، وترغبه فيها .

والثانى : أنه لا يحسن أمره بشئ من المعاصي ، ولا ترغيبه فيه . ومعلوم أن نتيجة هذين الأصلين ، هى أن هذه الأفعال ليست معاصي منه لربه تعالى . وكذلك فقد سلموا فى ذلك أصليين آخرين أيضاً :-

١٨٠ و / أحدهما : أنه لا يجب نهى العاصي عن شئ من هذه الأفعال ، ولا يجوز . أيضاً .

والثانى : أنها لو كانت من جملة معاصيه ، لجاز نهيه عنها بل وجب . ومعلوم أن نتيجة هذين الأصلين ، هى أن هذه الأفعال ليست من جملة معاصيه . وكذلك فقد سلموا فى هذا أصليين آخرين أيضاً :-

(١) فى الأصل : قال .

(٢) وردت فى الأصل لجميع .

أحدهما : أن العاصي إذا اعتمد معصيته ، وهو على طهارة انتقضت طهارته .

والثاني : أنه إذا اعتمد سائر هذه الأفعال ، كالصلاة والزكاة ، وهو على طهارة ، لم تنتقض بذلك طهارته .

ومعلوم أن نتيجة هذين الأصلين ، هي أن هذه الأفعال ليست من جملة معاصيه .
ومما يؤكد ذلك . أن طهارته لو انتقضت بفعله للصلاة ، عقيب الطهارة ، لكانت صلاته قد وقعت بُعيد طهارة ، فكانت لا تجزؤه ، ويلزمه قضاؤها ، وقد أجمعوا على أنها مجزأة ، ولا يلزمه قضاؤها ، مع قولهم^(١) أن المعاصي المعتمدة توجب نقض الطهارة ! فحصل من ذلك أن صلاة العاصي ليست معصية ، وهم مع ذلك يزعمون أنها معصية .

وكذلك فقد سلموا في هذا أصلين آخرين .

أحدهما : أنه يجوز معونة العاصي على هذه الأفعال .

والثاني : أن معونته على المعاصي لا تجوز . ومعلوم أن نتيجة هذه الأصلين هي أن ١٨٠ ظ / هذه الأفعال ليست بمعاصٍ منه ، بيان ذلك أنه يجوز عندهم للمسلمين . أن يعينوا العاصي بقرى ضيفه ، وتفرقة صدقاته ، وتقريب الماء لطهارته ، وتهيئة أسباب صلاته ، وغيرها من هذه الأفعال ، ويحسن منهم التعرض لذلك والاختيار للدخول فيه ، ويعدون ذلك من حسن الأخلاق وكرم الطباع .

ولاشك أن هذا يمنع من كون هذه الأفعال ، أو شيء منها معصية ؛ لأن المعونة على المعصية ، معصية قبيحة ، لا تُعدُّ من مكارم الأخلاق ، ولا من محاسن الأعمال ، وهذا بَيِّنٌ لمن تأمله ، بحمد الله ومَنِّه .

وقد رأيت الاختصار على هذه المسائل العشر ، من جملة ما خالفت فيه المطرُقية من المسائل ، التي قد سلموا من أصولها ومقدماتها ، ما يوجب منعهم عن القول بها ، لو كانت هنالك مَسْكَةٌ من التمييز ، أو لمعة من النظر ، وهذه المسائل وأمثالها ، مما خالفوا فيه ، قد تطابقت الأدلة عقلاً وسمْعاً على بطلانه ، ووردت الفصول الكثيرة

(١) في الأصل : قتلهم .

عن الأئمة - عليهم السلام - بخلافه ، وقد أودعت من ذلك بالمصنفات الكثيرة ، ما يغنى كل ثاغب ، ويشفى كل طالب .

غير أنى جردت فى هذه المسائل ، الاستدلال بالأصول ، التى أجمعوا عليها ، على ١٨١ و / بطلان المذاهب التى ذهبوا إليها ، وجعلت ما اعتمدته من ذلك نصحة لهم ، لمن يوقف منهم عليه ، وحجة بالغة على من بلغ ذلك إليه ، قال رسول الله - ﷺ - : « ألا إن الدين النصيحة ثلاثاً . قالوا لمن يارسول الله ؟ .. قال : لله ، ولكتابه ، ولرسله ، ولأئمة المؤمنين ، وعامتهم » (١) .

* المطرفية يراوغون حتى لا يناظرون :

ومن عجيب أمر المطرفية ، أنهم يظهرون الامتناع من المناظرة ، متى دعوا إليها ، ويعتلون بعلل غير مستقيمة ، منها :

١- أنهم يقولون : إن المناظرة تشغلهم ، عما هم فيه من الدراسة .

والفائدة لمن ينقضون هذه العلة بوجهين :-

١- أحدهما : أنهم يشتغلون بشكاية من خالفهم فى المذهب ، وإدامة ذكره والظعن عليه ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم من سماع قوله ، وتقديهم عليه ، وضرب الألعة فى ذلك ، وتحشيد الناس له ، وإظهار النكير عليه فى مغيبه ، وما جرى هذا المجرى ، أضعاف شغلهم بالمناظرة .

فيظهر لكل بصير ، أنهم عجزوا عن المناظرة ، واعتلوا لذلك ، ولو كانوا أهل قدرة عليها ، لما عدلوا عنها إلى الاشغال العظيمة ، بما ذكرناه ، مع أنها توصلهم إلى مرادهم من إسقاط من خالفهم ، وإبطال أمر خصومهم .

ومع أنهم يصلون بإقامة الحجة ، لو كانت معهم ، إلى ما أرادوه من إسقاط ١٨١ ظ / مخالفهم ، وإبطال مذهبه ، والمناظرة أهون مما اشتغلوا به ، فلما تركوها ، واشتغلوا بأوفى منها ، مما لا يوصلهم إلى مراد ؟

(١) الحديث : رواه البخارى ٢٨٦/٤ ، ومسلم ٥٣/١ ، والترمذى ٣٢٤/٤ ، والنسائى ١٥٦/٧ ، وأحمد ٣٥١/١ ، ٢٩٧/٢ ، ١٠٢/٤ - ١٠٣ ، وأحمدى ٣٦٩/٢ ، والطبرانى فى الكبير ، والقضائى فى الشهاب ٤٤/١ ، والذيل فى الفردوس ٣٥٠/٢ .

ظهر بذلك عجزهم ، كما ظهر بذلك عجز قريش ، عن معارضة النبي ﷺ لمثل ذلك .

٢- والوجه الثاني : مما نقضوا عليهم هذه ، وهي علة الاشتغال ، أنهم يشتغلون بالأمور الحقييرة ، كالحرفة شهوراً متوالية ، وبالطواف له البلاد الكثيرة . وكذلك بطلب المعاش في مشرف ومغرب وشام ويمن ، مع أن الفائدة الحاصلة بذلك ، دون الفائدة الحاصلة بالمناظرة ، بدرجات كثيرة ! . فظهرت مناقضتهم في تعليل الامتناع عن المناظرة ، بالشغل في الدراسة ؛ لأن المعلوم أن اشتغالهم عن الدراسة ، بهذين الأمرين ، أعظم وأوفى .

٢- وربما يعتلون في الامتناع عن المناظرة ، بأن يقولوا : نحن على بصيرة من أمرنا ، وثقة^(١) من مذهبنا ، فمن كان على شك من أمره ، طلب معرفته بالمناظرة .

ثم ينقضون ذلك ، بتعرضهم لمناظرة من ضعف عن مقاومتهم من المخالفين ، وربما يعتقدون^(٢) من أنه يجب على كل عاقل بصير واثق بما هو عليه ، أن يرشد الناس إلى ١٨٢ و / الحق ؛ لإفادة المستفيدين ، ومناظرة المخالفين . والتمدح عند اتباعهم بأنهم يتحدون كل مخالف للمناظرة والبيان ، ويتظاهرون عندهم ، بالقوة على ذلك ، والتمكن منه ، وبأن الامتناع بالمناظرة ، كان من مخالفهم لا منهم ، ولا شك أن هذه مناقضة ظاهرة بينة .

٣- وربما يعتلون من الامتناع عن المناظرة ، بأنهم قد ناظروا مراراً وفلجوا ، ووقع الإجماع معهم على مذهبهم .

ولا شك أن هذه علة باطلة^٣ ؛ لأن إعادة المناظرة ، وإقامة الحجة ، أهون عليهم من إملائها ، وفي إعدادتها فائدتان :

- أحدهما : تأكيد الحال عند من كان قد سمع .

- والثانية : تعريف من لم يكن عرف ، ذلك الفلج الأول من الناس ؛ ليميز لهم الحق من الباطل ؛ وليحذر الاغترار في الدين !

(١) جاءت في الأصل هكذا : وثيقه .

(٢) في الأصل : يعتقدونه .

يتلو ذلك مسائل

الهدية في مذهب الزيدية

الله هو الذي ينزل المطر

١٨٣ و / فصل : اعلم أن القول ، بأن المطر يحصل من بحار الأرض ، وما فيها من البحار والمياه ، وأن الرياح والسحاب ، يحمله من الأرض إلى السماء ، ثم ينزل على الأرض راجعاً ، هو قولٌ مخالفٌ لصريح القرآن الكريم ، ولما وردت به الأخبار عن النبي ﷺ ، ولما تقرر من مذاهب الأئمة الكرام ، عليهم من الله أفضل السلام ، ولما عليه أهل التحصيل من علماء الإسلام ، ولا شك أن من خالف ذلك كله ، فقد خسر خسراناً مبيناً .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فِرْقَتَكُمْ سَعًى طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴿ ١٨ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٢١) (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ (٤) (٣) وأمثال ذلك من آيات القرآن الكريم في بضع وعشرين آية ، فيها التصريح الظاهر أن ١٨٣ ط / الله (٤) ، تعالى ، أنزل المطر من السماء إلى الأرض ، فلا يجوز لمسلم ، أن يخالف ذلك ؛ لأنه عناد بصريح القرآن الكريم ، ولا يجوز أن يحمل ما ذكره من السماء في هذه الآيات ، على أن المراد به السحاب ؛ لأن السحاب لا يسمى سماء على الحقيقة ، بل هو شئ بين السماء والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ

(١) سورة المؤمنون : آية ١٧ .

(٢) سورة الزمر : آية ٢١ .

(٣) سورة ق : آية ٩ .

(٤) كررها في صدر : الورقة ١٨٣ ط .

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٨٤﴾ .

فأخبر ، سبحانه ، فى هذه الآيات ، وفى غيرها أنه أنزل المطر من السماء إلى الأرض ، وأن السحاب مسخر بين السماء والأرض ، فإن سَمَّى بعضُ الناس السحاب سماء ، كان ذلك مجازاً لا حقيقة ، كما سَمَّى الشجاع أسداً ، والبليد حماراً ، على وجه التوسع والمجاز .

وروى عن النبى ، ﷺ ، أخبار عدة ، توضح أن الله ، تعالى ، هو الذى تولى إنزال ١٨٤ و / المطر ، ولم يكل ذلك إلى رياح ولا بحار ، فروى أنه ، ﷺ ، قال : « ما من مطر ينزل من السماء ، إلا وفيه مزاج من ماء الجنة ، فإذا كثر ذلك المزاج كثرت البركات ، وإن قل المطر ، وإذا قل ذلك المزاج ، قلت البركات ، وإن كثر المطر » (١) .

وروى عنه ، ﷺ ، أنه قال لأصحابه عقيب مطر كان من الليل : أتدرون ماذا يقول ربكم ، تعالى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : يقول : أصبح من عبادى مؤمن وكافر ، فأما الذى يقول مطرنا برحمة الله ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما الذى يقول : مطرنا بنوء كذا ، فذلك كافر بى ، ومؤمن بالكواكب (٢) .

وأما ذلك من الأخبار ، التى توضح أن الله ، سبحانه ، وتعالى هو المتولى لإنزال الأمطار رحمة لعباده ، وإن كان ليس بموكول إلى طلوع بحار ، ولا بمحتاج إلى ماء البحار ، وهو موافق لما وردت به نصوص القرآن ، فيما تقدم ذكره من الآيات .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٣٨) (١) . وأما ذلك من آيات القرآن الكريم ، وقد تقررت مذاهب الأئمة ، عليهم السلام ، على أن الله ، تعالى ، هو المتولى لإنزال الأمطار ، متى شاء رحمة

(١) سورة البقرة : الآية ١٦٤ .

(٢) الحديث : لم أعرف له تحريجاً فى كتب السنة .

(٣) الحديث : رواه مالك فى الموطأ ، ص ١٣٥ حديث (٦٠٤) . وبخارى : ٣٨٨١٢ (٨٤٦) . وأيضاً (١٠٣٨) -

٤١٤١٧ (٧٥٠٣) ، ومسلم ٥٩/١ ح (١٢٥) . وأحمد ٢٠٦٢ ٣٠٧٤٠١٧/٥ ٨٩/٥ وفى مواضع أخرى

منه . والفتاوى ج (١٦٦٢) و (٢٣٩٥) ، والواقدي ٤ ص : ٢٤٨ .

(٤) سورة الشورى : آية ٢٨ .

لعباده ولو لم يزد في ذلك عنه ، عليهم السلام ، إلا ما بيتوا^(١) في صلاة ١٨٤ ظ / الاستسقاء ، التي يتضرع فيها المسلمون إلى الله ، تعالى ، لينزل عليهم المطر من السماء إلى الأرض التي أصابها الجذب ، لكان كافياً في بيان حال المطر ، وأن الله ، تعالى ، هو الذي يتولى إنزاله رحمة لعباده ، وعلى هذا تقررت مذاهب المخلصين من علماء الإسلام ، وفرق الأمة ، فلا يجوز أن يخالف ذلك ، فأما قوله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝﴾^(٢) فإن ذلك لا يقتضي طلوع الماء من البحار ، ولا كون المطر من البحار ، وقد اختلف علماء المفسرين في هذه الآية على أقوال كثيرة ، ولم يقل أحد منهم ، بأن معنى ذلك هو إطلاع الرياح للماء من البحار ؛ لأن من المفسرين من قال المراد بالنازعات والناشطات ، والسابحات والسابقات ، والمديرات الملائكة ، عليهم السلام .

ويروى نحو ذلك عن أمير المؤمنين ، عليه السلام ، وأنه قال : النازعات هي الملائكة ، تنزع أرواح الكفار شدة ، وهي الناشطات تبسط أرواح الكفار ، ما بين الجلد والأظفار ، حتى يخرجها من أجوافهم ، بالكرب والغم ، والساثحات هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين ، وقال غيره من المفسرين بخلاف ذلك .

١٨٥ و / فقالوا فيه أقوالاً كثيرة ، ولم يقل أحد منهم ، بأن معنى ذلك هو طلوع الماء من الأرض إلى السماء ، ولا إلى السحاب ، على ما تقدم بيانه^(٣) .

* * *

(١) ورد في الأصل : بيتوا .

(٢) سورة النازعات : آية ١ - ٢ .

(٣) انظر أقوال المفسرين في هذه الآيات وقارن بما ذكره المؤلف ، تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٣ .

فصل: البرد من الله

اعلم أن من زعم أن البرد يكون مطراً ، ثم تعترضه رياح فى الهوى فيجمده ، فقد خالف صريح القرآن ، وخرج عما قاله أهل العلم والتحصيل من الأئمة ، عليهم السلام ، وسائر علماء الإسلام ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْغُيُوثِ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) **وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** (٢) **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَارِ** (٣) **يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ** (٤) ﴿ (١) .

فإن الله ، سبحانه ، نص فى هذه الآية على أنه الذى يزجى السحاب ، أى يسوقه ، ويؤلف بينه ، ويجمعه ويجعله ركاماً بعضه فوق بعض ، من غير أن يكل ذلك إلي وكيل ، ولا أن يستعين فيه بمحليل ولا مستحيل .

وكذلك فإنه نص ، تعالى ، فى هذه الآية على أنه أنزل البرد من جبال فى السماء ، وأنه الذى يصيب به من يشاء من خلقه ، ويصرفه عن من يشاء من ١٨٥ ظ / عبادته ، وأنه يفعل ذلك ليعتبر به خلقه ، ويتعظوا وهو معنى قوله : ﴿ **فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ (٥) ﴿ (٦) ، فلا يجوز لمسلم أن يخالف فى شئ من ذلك ، فيتنزه الله ، سبحانه ، عن إنزال البرد على خلقه ، وينزهه عن أن يصيب به أحداً من عباده .

ويزعم أنه إنما كان باعتراض الرياح له ، ويزعم أن إصابته لشئ من أموال المسلمين ، لم يكن بإرادة الله ، سبحانه ، ومشيئته ؛ لأن ذلك ليس بتنزيه لله ، تعالى ، من القائل به ، بل هو بموته فى الدين ، ورد لكتابه المبين ، وذلك لا يجوز .

وكذلك فإن مذاهب الأئمة ، عليهم السلام ، والمخلصين من علماء الإسلام ، متفقرة على التصديق ، بما ورد به ظاهر ، وهذه الآية من أنه ، تعالى ، هو الذى نزل

(١) سورة النور : الآيات من ٤١ - ٤٤ .

(٢) سورة النور : آية ٤٤ .

البرد من جبال فى السماء ، وأصاب به من شاء ، وصرفه عن من شاء ، لما فيه من التذكير والاعتبار .

ولو لم يكن فى ذلك ، إلا ما روى الهادى ، عليه السلام ، إنه لما أصاب البرد زرع الناس ، وسلم زرعه ، قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) ، فلما أصاب البرد زرعه بعد ذلك ، قال : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) ؛ ليُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ لكان فيه كفاية كافية .

* * *

(١) سورة الحج : آية ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٤١ .

فصل : الله هو الذي اختص أنبياءه بالنبوة

اعلم أن من زعم ^(١) أن الله ، تعالى ، لم يختص أنبياءه ، صلوات الله عليه ،
 ١٨٦ و' بالخصائص الشريفة ، ولم يميزهم على غيرهم بالمزايا العظيمة ، التي
 أحدها نبوة ، وأنكر ذلك وجحده ، وزعم أن الله سوى بينهم وبين غيرهم
 من أصناف الخلق ، من العرب والعجم ، والحبش والزنج ، والروم والافرنج ،
 والهند والسند ، وسائر الأمم ، وجعلهم سواء ، وإنما عمل كل واحد من
 الأنبياء لنفسه نبوه ، أتى بها من نفسه لا من ربه ، وأن كل واحد من
 الخلائق ، قادر على أن يعمل لنفسه نبوة مثل نبوة محمد ، ﷺ ، وأوفى
 منها ، فقد أعظم القول في ذلك ، وخالف ما ورد به صريح القرآن ، وما قامت
 به أدلة الهدى والبيان ، قال الله ، تعالى ، في الأنبياء ، عليهم السلام : ﴿ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤَايِسُوا بِهَا
 الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) ﴿ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ (٣)
 وأمثال ذلك من آيات القرآن الكريم ، التي فيها تصريح ظاهر ، بأن الله ، تعالى ،
 أتى أنبياءه ، صلوات الله عليهم ، أنواع الكرامة ، واختصهم بالنبوة التي هي
 ١٨٦ ظ / الرسالة ، ولم يجعل ذلك موكولاً إلى اختيار عباده ، كما قال
 سبحانه : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ
 حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ
 الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ
 اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦) يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
 العظيم (٧) ﴿ (٦)

وكذلك فمذاهب الأئمة ، عليهم السلام ، والكافة من علماء الإسلام ، أن الله ،

(١) سورة الأنعام : آية ١٢٤ .

(٢) سورة القصص : آية ٦٨ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٧٤ .

(٤) في الأصل : زعة .

(٥) سورة الأنعام : آية ٨٩ .

(٦) زاد في الأصل لك .. وهذا خطأ بين في القراءات .

تعالى ، هو الذى اختص أنبياءه بالنبوة ، وأكرمهم بها دون من سواهم من البرية ، وميزهم على غيرهم بالمزايا الشريفة والمراتب العلية .

وقد ورد فى ذلك عنهم ، فصول كثيرة لا سيما عن القاسم ^(١) والهادى ^(٢) إلى الحق ، عليهما السلام ، لولا خشية الإطالة ، لأوردت منها فى هذا الموضع ما يكفى اليسير منه ، ولكنى قد جمعت منها كثيراً فى الكتب ، التى أوضحت فيها مذاهب الأئمة ، عليهم السلام ، فمن أراد ذلك طالعهُ فى موضعه .

ولو لم نُرِدْ فى ذلك إلا ما روى عن الهادى ، عليه السلام ، فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْغَدِيدُ ﴾ ^(٣) ١٨٧ و / فذكر ، عليه السلام ، أن الفضل الذى آتاه الله تعالى داوود ، ﷺ ، هو ما اختصه به من النبوة ، وأكرمه به من جزيل الكرامة ؛ لكان فى ذلك كفاية كافية ، كيف والفصول الواردة عنه ، وعن غيره من الأئمة ، عليهم السلام ، أكثر من أن تحصى فى مثل هذا الموضع ، غير أن من أنصف نفعه القليل ، ومن عائد لم يزد عنه التطويل ، والله (در) القائل :

ولولا أن يظن بنا غُلُوراً نردنا فى المقال من استزادوا

وما يدل على بطلان قول من يقول : إن النبوة فعل النبى فعلها لنفسه ، وأن كل واحد من الخلق قادر على أن يفعل لنفسه مثلاً ، هو أن ذلك لو كان كما قالوا ، لما قصر أمير المؤمنين ، عليه السلام ، عن إدراكها مع كثرة عبادته واجتهاده ، وعظيم عنايته وجهاده ، وكذلك من بعده من الأئمة السابقين ومن

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنى العلوى ، أبو محمد ، المعروف بالرسى (١٦٩ - ١٠٢٤٦ = ٧٨٥ - ٨٦٠م) فقيه ، شاعر ، من أئمة الزيدية . وهو شقيق ابن طباطبأ . كان يسكن جبال من أطراف المدينة - وأعلن دعوته بعد موت أخيه (سنة ١٩٩ هـ) ومات فى الرى ، له ٢٣ رسالة ، انظر : الزركلى : الأعلام ج ٥ / ١٧١ .

(٢) هو الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى العلوى الرسى : إمام زيدى .. فقيه عالم ورع له مصنفات كثيرة ولد سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، وتوفى بصعدة ، ودفن بجامعها سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م .

(٣) سورة صبا : الآية ١٠ .

معهم من العلماء العاملين ، فلما لم ينالوا هذه الدرجة ، مع أنهم قد استفرغوا الوسع في العبادة ، وبلغوا في العلم والعمل منتهى الاستطاعة ، علمنا بذلك أن النبوة ليست من أفعال العباد ، وإنما لا تنال بالعناية والاجتهاد وهذا واضح البيان .

١٨٧ ظ / بحمد الله ، الواحد المنان ، صلى الله عليه

على محمد ، وآله خير آل ، وسلم كثيراً .

انتهى .

فهرس الكتاب

رقم الصفحة

الموضوع

- ٥ - مقدمة
- ٧ - نبذة عن المطرفية
- ١٢ - فى عداء الإمام احمد للمطرفية
- ١٣ - فى عداء الإمام المنصور للمطرفية
- ١٧ - آراء المطرفية فى العقيدة
- ١٨ - مخالفات المطرفية
- ٢٠ - ب- ومن مسائل القسم الثانى
- ٢٠ - ج- ومن مسائل القسم الثالث
- ٢١ - د- كما وافقوا الخوارج فى أربع مسائل
- ٢٣ - ٤- ترجمة جعفر بن عبد السلام
- ٢٥ - فى وصف بعض مخطوطات القاضى شمس الدين
- ٢٥ - ١- رسالة فى الرد على المطرفية
- ٢٥ - ٢- المسائل العشر التى فيها الخلاف بين الشيعة وما شاع بينهم
- ٢٦ - ٣- النقض على صاحب «المجموع المحيطة بالتكليف» فيما خالف فيه الزيدية فى باب الامامة
- ٢٦ - ٤- نكت العبادات وجمل الزيادات
- ٢٨ - ٥- فى وصف المخطوط
- ٢٩ - حول موضوعات الرسالة
- ٣٢ - * منهج المؤلف فى الرسالة
- ٣٣ - ٦- المسألة الاولى : هل عقل الإنسان هو قلبه
- ٣٥ - ٧- المسألة الثانية : نقد المطرفية فى أن علوم الإنسان كلها فعله
- ٣٦ - ٨- المسألة الثالثة : نقد المطرفية فى قولهم أن الإنسان يبطل فى كل وقت
- ٣٨ - ٩- المسألة الرابعة : نقد المطرفية فى أن الله لم يقصد شيئاً من خلقه
- ٤٠ - ١٠- المسألة الخامسة : نقد المضرفية فى انكارهم ان البلاء من الله

- ١١- المسألة السادسة : نقد المطرفية في أن الله لم يرد شيئا من الآفات والمضار ٤١
- ١٢- المسألة السابعة : نقد المطرفية في إنكارهم الحكمة من الآفات والمضار ٤٢
- ١٣- المسألة الثامنة : نقد المطرفية في ردّهم جراحات المعتدين لله فعلاً حادثاً له لا لهم ٤٣
- ١٤- المسألة التاسعة : نقد المطرفية في قولهم أن أموال العصاة الحلال تعد غضباً ٤٤
- ١٥- المسألة العاشرة : نقد المطرفية في قولهم أن حسنات العاصي معاصي ٤٨
- * المطرفية يراوغون حتى لا يناظرون ٥٠
- يتلو ذلك مسائل الهدية في مذهب الزيدية ٥٣
- الله هو الذى ينزل المطر ٥٣
- ١٦- فصل : البرّد من الله ٥٦
- ١٧- فصل : الله هو الذى اختص أنبياءه بالنبوة ٥٨
- ١٨- الفهرس ٦١

دار النشر للطباعة الإسلامية

٢ - شارع شحاتى شبراخيت - ١١٢٣١

الرقم البريدى - ١١٢٣١